

# نظارات شرقيّة

في

## ديوان المتنبي



تأليف  
سليمان بن صالح الخراشي



تقديم

فضيلة الشيخ الأديب  
عائض بن عبدالله القرني

دار علوم السنة

نَظَرَاتٌ سَرِيعَةٌ  
فِي  
وَلَاقُ الْمَسَبِّي

ح دار علوم السنة للنشر والتوزيع، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الخرافي، سليمان صالح.

نظارات شرعية في ديوان المتنبي - الرياض .

٢١: ص ٢٤ × ١٧ سم.

ردیف: ۹۳۱۱ - ۲ - ۹۹۶۰

١- الشعر العربي - نقد ٢- الإسلام و الشعر ٣- المتنبي، أحمد بن  
الحسين، ت ٣٥٤ هـ العنوان  
٤٠٤٧ / ٢١ ديوبي ٥٠١٩

رقم الإيداع: ٤٧ / ٣٠ / ٢١

ردیف: ۲ - ۹۳۱۱ - ۹۹۷۰

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

۱۴۸۸ - ۱۹۰۱ م

# لَذَّاتُ عِلْمِ الْسُّنْنَةِ

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

الرِّيَاضُ - هَافَ وَفَاسْ: ٤١٤٠١٩ - صَبَر: ٥١٩ - الرِّمَانِ الْبَرِيدِيَّةُ: ١١٥٤٣

نَظَرَاتُ شَرِيعَةِ  
فِي  
وَوْلَادَةِ الْمُتَّبِيِّ

بقلم  
سَلِيمَانَ بْنَ صَالِحِ الْخَزاِنِيِّ

بِحَارِ الْعِلْمِ السَّيِّدِ  
لِلنَّشْرِ وَالتَّوزِيعِ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ  
الْحُكْمُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰالَمِينَ  
إِنَّا نَعٰلَمُ مَا تَعْمَلُونَ

## مقدمة

### للشيخ عائض القرني

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وآلها وصحبه

وبعد:

فلا أعلم شاعراً سارت بشعره الركبان، ودلت بقصائده  
المجالس، وترنمتأ بأبياته الحداة، كأبى الطيب المتنبى حتى كاد  
يصح فيه قوله:

وما الدهر إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

ولهذا الشاعر من قوة الأسر، وحسن التأثير، وروعة الإبداع،  
ما يفوق الوصف، حتى صار مثار الجدل بين المحيين والحايين،  
وألفت فيه الكتب، وعقدت من أجله الندوات، وكثُر فيه القيل  
والقال، حتى صدق فيه قول ابن رشيق القيرواني: المتنبىء ماليء  
الدنيا وشاغل الناس.

ولكن هذا الجمال في الحرف، والحسن في الديباجة، والإشراق في الكلمة، والحكمة في القول، لم يصاحبها صيانة في المضمون، وقداسة في المعنى، فليس عند الرجل ديانة تحميه من الجرأة في إطلاق بعض العبارات، وما كان عنده ورع يحجزه عن اقتحام سياج الملة المطهرة؛ بل كان كلما أسعفه خاطره وأمطراه ذهنه ببنات فكره ألقى الكلام على عواهنه، وسرح القول بلا رؤية، فعثر به لسانه، وكبا به حصانه، وكل من تكلّم عن شعر المتنبي لم يتطرق إلى تجاوزاته في جانب الدين، وحضره الشريعة، إنما شرحاً ألفاظه وبينوا عباراته، وبسطوا جمله للناس، ومنهم من قدح في شعره من باب البلاغة والبيان، لا من بوابة الإيمان، وإنما قصدوا الصناعة فحسب، حتى من تحامل عليه كالصاحب بن عباد إنما اتهمه بسرقات المعاني، ولم يتعرض لما هو أعظم من ذلك؛ وهو سطوطه في العبارة وتهوره في إطلاق بعض الأبيات.

وحتى علي بن عبدالعزيز الجرجاني لما حاكم المتنبي وتوسط بينه وبين خصومه ذهب مذهب الأدباء في دراسة الكلمة والاعتناء بالميزان الشعري والنقد الأدبي ولم يُوقف الرجل عند حده في المسألة الكبرى، وهي مسألة الديانة التي صيانتها واجب، والذب عنها جهاد، واحترامها عبادة.

والواحدي وهو أحسن من شرح ديوان المتنبئ على ذكاء الوحداني وعلمه بالتفسير كان يمر على هفوات المتنبئ مروراً سريعاً بلا تعقب، وبلا محاسبة.

وقل مثل ذلك في العكيري والبرقوقي ومحمد شاكر وغيرهم ولا أنكر أن بعضهم لحظ على المتنبئ تجنيه وإسرافه وتطاوله المشين في جانب الشرع، لكن لا أعلم دراسة مستقلة مستفيضة قاصدة في هذا الباب.

ومبدأ محاكمة الناس في محكمة الوحي مقبول ومشروع، فإن كلامه يؤخذ من كلامه ويُرد إلا الرسل عليهم الصلاة والسلام لمكان العصمة، وقد لام الله أعداءه على كلمات صدرت منهم، وكفر بعضهم بجمل تفوهوا بها من الإلحاد والاستهزاء به وبكتابه وبرسوله، وتوعد أقواماً على إفكهم وكذبهم، ونسبة الولد والصاحبة له - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً -، وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

ونهى عن إطلاق بعض العبارات، وزجر بعض  
المتكلمين بين يديه لما أخطؤا؛ كقول أحدهم: ما شاء الله وشئت،  
وقول الآخر: ونستشفع بالله إليك، إلى غير ذلك من القول المحرم.  
وحق علينا جميعاً أن نجعل ميزان الناس جميعاً كتاب الله

وسنة رسول الله ﷺ؛ لأنه لا يسع أحدٌ في العالم مهما بلغ الخروج عليهمَا، وقد أحسن من حاكم الفلسفة وأهل المنطق إلى الوجي، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية، لأننا إذا أهملنا محاسبة الناس إلى الشرع قال من شاء ما شاء.

وقد قرأت بتمعن ما كتبه الأخ الشيخ أبو مصعب في كتابه هذا، فرأيت رسالة جادة مسئولة، ووجدت كلاماً علمياً شرعياً راقياً يدعمه الدليل، وتعضده الحجّة، فكان بحق سباقاً إلى هذا العمل المبارك الراشد، وسوف يكون هذا الكتاب ميزاناً عادلاً أميناً عند محبي وعاشقي شعر هذا الشاعر المتفرد، ليكونوا على بصيرة من أمرهم في مطالعة ما جادت به قريحة هذا الشاعر المبدع الفذ، ولا أجد ما أقوله لأبي مصعب على جودة ما قدم وروعته ما كتب، إلا ما قاله أبو الطيب المتنبي في ممدوحه:

قطف الرجال القول قبل نباته

وقطفت أنت القول لـما نورا

وهذا التأليف الساجي ليس بغرير من أبي مصعب<sup>(١)</sup>، فهو صاحب أدب خلاب، وأسلوب جذاب، واطلاع واسع، وقلم

---

(١) هذا حسن ظن من الشيخ عائض، وإنّ فائضاً أعلم من نفسي التقصير والعلم المزجي. «اللهم اغفر لي ما لا يعلمنون».

بارع؛ وكأنه المقصود بقول أبي الطيب أيضاً في صاحبه:  
إذا تغلغل فكر المرء في طرفِ،  
من علمه غرقتُ فيه خواطره  
جزى الله أخانا النبيل أفضل الجزاء وأجزل العطاء وبلغه أمنيته  
في نصر الحق وحماية الملة وصيانة الشرع والذب عن الدين،  
وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم.

عائض القرني

١٤٢١/٦/١ هـ

الرياض



## مقدمة

إن الحمد لله نحمه ونستعينه ونستغفر له، ونعود بالله من شرور أنفسنا ومن سينات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبد الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَ�بِلُهُ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَتَقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجَدَنَهُ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَآتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلَ عَنْ يُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٦﴾ يُصْلِحَ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَرْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>.

أما بعد: فهذه رسالة نقدية وفق منهج أهل السنة خصصتها

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ١

(٣) سورة الأحزاب، الآيات: ٧١، ٧٢.

لديوان من قيل فيه «شاعر الزمان»<sup>(١)</sup> أبا الطيب المتنبي، الذي ملأ الدنيا، وشغل الناس، في حياته وبعد موته، وهو - كما يقول - قد نام ملء جفونه! عن كل هذا الخضم المتجدد حوله: في نسبة، وفي لقبه، وفي والديه، وفي مذهبه الديني والسياسي، وأخيراً في شعره، وكل هذا إن كان يهم دارس الأدب ودارس التاريخ فهو لا يهمني في بحثي هذا، وإن كنت قد ألمت به عرضاً - كما سيأتي -

أقول هذا مقدمةً لرسالتي هذه؛ لكي يعلم القارئ أن هدفي منها ليس هو بحث نسب المتنبي، أو لقبه، أو معرفة أكان من القرامطة أم من غيرهم، إلى غير ذلك من المباحث التي أكثر الخوض فيها جماعةٌ من المتقدمين والمتاخرين، وتشعبت بهم الآراء والترجيحات، وكلُّ رأيٍ موثقٍ بأدلة وقرائن ليست مما يسهل دفعه.

إنما بحثي هذا مُخصص لـلقاء نظرة (شرعية) على شعر

(١) قال هذا عنه الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩٩/٢). وقال أيضاً: «كان من أذكياء العالم. بلغ الذروة في النظم، وأربى على المتقدمين، وسار ديوانه في الآفاق» وقال الحافظ ابن حجر في ترجمته في «السان الميزان» (١٥٩/١): «نظم الشعر حتى بلغ الغاية، إلى أن فاق أهل عصره».

المتنبي من خلال سرد ديوانه؛ ليتبين لقارئه - في زماننا وفي القادر من الأيام - ما أجاد فيه الشاعر من معانٍ وألفاظ وافتقت الشرع، أو نصرت دين الله، فيستفاد منها ويُكثر من الاستشهاد بها لغلهاتذيع وتنتشر؛ نظراً للصدورها من شاعر فحل كالمنتبي.

ويظهر - أيضاً - مافي شعره من أبيات مُخللة بالعقيدة، أو مجانية للصواب، فيحذرها القارئ، ويُحذر منها أو سلوك مسلكها، ويتجنب ترديدها والترنم بها في كتاباته أو أقواله؛ لكي لا يشارك صاحبها في الإثم عندما يوطّن قلبه ولسانه وقلمه على الرضى بها.

أسأل الله أن ينفع بهذه الرسالة، وأن يتقبلها مني مشاركة في تصفية تراثنا على ضوء الكتاب والسنة، وأن تكون محرضأً لطلاب العلم على المساهمة في مثل هذه الدراسات التي يحتاجها أفراد أمتنا لكي يكونوا على بينة من أمرهم. والله الموفق للخير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وصحبه أجمعين.



## لهمسة عن المتنبي

اسمها - مولده - كنيتها - لقبها - نسبها - حياته



### لمحة عن المتنبي<sup>(١)</sup>

أما اسمه : فهو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفري ، الكندي ، الكوفي ، من بني جعفر بن سعد العشيرة بن مَذْحِج من كهلان من قحطان من عرب الجنوب اليمانيين . وكانت ولادته في حي بني كندة في الكوفة سنة (٣٠٣ هـ - ٩١٥ م).

وقضى في ربعها سني حياته الأولى وهو يتrepid فيها على محال الوراقين - وهم أشبه بمكتبات اليوم - يجمع العلم من أوراقهم بعد أن تعلم القراءة والكتابة في كتاب للعلويين ، وخصوصاً أن الكوفة كانت تزاحم البصرة علمًا وثقافة وأدبًا في تلك الأونة من الزمن .

---

(١) الكتب المؤلفة عن حياة المتنبي لا تُحصى عدداً، انظر مجموعة منها في رسالة الدكتور عبدالله الجبورى : «أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين» وقد اعتمدت كثيراً في هذه اللῆمة على كتاب الأستاذ محمد يوسف فرّان : «أبو الطيب المتنبي» ط - ١ - ١٤١١ هـ دار الكتب العلمية بيروت. نظراً لحسن ترتيبه وعرضه. مع التصرف :

أما كنيته: فأبو الطيب.

وأما لقبه بالمتنبي، فقد قيل فيه أمور كثيرة، فقد قال القاضي أبو الحسن الهاشمي عندما ذكر المتنبي: «كنت أعرف أباًه بالكوفة، شيخاً يسمى عيدان يستقي<sup>(١)</sup> على بعير له، وكان جعفياً صحيحاً النسب. وقد كان المتنبي لما خرج إلى كلب وأقام فيهم ادعى أنه علوى حسني، ثم ادعى بعد ذلك التبوة، ثم عاد يدعي أنه علوى إلى أن أشهد عليه بالشام بالكذب بالدعوتين، وحُبس دهراً طويلاً، وأشرف على القتل.. ثم استتب وأشهد عليه بالتوبة وأطلق»<sup>(٢)</sup>. ثم قال أبو علي بن أبي حامد: «سمعت خلقاً بحلب يحكون - وأبو الطيب بها إذ ذاك - أنه تنبأ في بادية السماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية فقاتلته وأنفره وشرد من كان اجتمع إليه من كلاب وكلب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن حبساً طويلاً، فاعتقل وكاد أن يتلف، حتى سئل في أمره فاستتابه وكتب عليه وثيقة أشهد عليه فيها ببطلان ما دعا به ورجوعه إلى الإسلام.. وأطلقه»<sup>(٣)</sup>.

(١) يستقي: يبيع الناس الماء فسمي بالسقاء.

(٢) تاريخ بغداد (٤/١٠٣).

(٣) المصدر السابق (٤/١٠٤).

وقال أبو عبدالله معاذ بن اسماعيل اللاذقي : «قدم أبو الطيب الملاذقي في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو لما عذر<sup>(١)</sup> قوله وفرة إلى شحمتي أذنيه فأكرمه وعظمته لمارأيته من فصاحته وحسن سمعته . فلما تمكن الأنس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من أدبه قلت : والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير ! فقال : ويحك أتدرى ماتقول ؟ أنانبي مرسل ! فظننت أنه يهزل . . فقلت له : ماتقول ؟ فقال : أنانبي مرسل . . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : أملا الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً . . » وقال التنوخي عن أبيه «فاما أنا فإني سألته بالأهواز في سنة أربع وخمسين وثلاثمائة عند اجتيازه بها إلى فارس في حديث طويل جرى بيننا عن معنى «المتنبي» لأنني أردت أن أسمع منه هل تنبأ أم لا ؟ فأجابني بجواب مغالط لي ، وهو أن قال : هذا شيء كان في الحداثة أو جبته الضرورة . فاستحييت أن أستقصي عليه وأمسكت ». .

وعندما حاول ابن خالويه ، في حضرة سيف الدولة أن يتهمه بالكذب وينعته بالجهل لادعائه النبوة أجابه المتنبي : «أنا لست أرضى أن أدعى بهذا ، وإنما يدعوني به من يريد الغرض

(١) عَلَّرْ : نبت الشعر على جوانب لحيته .

مني ، ولست أقدر على الامتناع».

قلت : وقضية ادعاء أبي الطيب للنبوة هي أيضاً من المسائل المشكلة التي اختلف فيها الباحثون ما بين مؤكِّد لها معتمد على عدد من الروايات<sup>(١)</sup> . وما بين منكري مؤول لها<sup>(٢)</sup> . وفي ظني - والله أعلم - أن الله بحكمته وعدله لا يُلصق لقباً كهذا (أي المتنبي) بسان، حيث لا يكاد يُعرف إلا به إلا أن يكون هذا الإنسان قد ارتكب ما يستحق به أن يوصم بهذا اللقب . واعتبر ذلك بمسقطة «الكذاب» نظراً لكتابه في ادعاء النبوة .

وإلى هذا الميل ألمع الحافظ ابن كثير - رحمة الله - في كتابه «البداية والنهاية» عند ترجمته للمتنبي - كما سيأتي - حيث قال : «وقد اشتهر - أي المتنبي - بلفظة تدل على كذبه فيما كان ادعاء من الإفك والبهتان ، وهي لفظة المتنبي ، الدالة على الكذب ، والله الحمد والمنة»<sup>(٣)</sup> .

(١) كسعيد الأفغاني - رحمة الله - في رده على محمود شاكر . المنشور في خاتمة كتاب شاكر .

(٢) كمحمود شاكر - رحمة الله - في رسالته عن «المتنبي» .

(٣) البداية والنهاية «١١ / ٢٧٤» .

وأما نسبة<sup>(١)</sup>، فقد مر بنا قول أبي الحسن الهاشمي «كنت أعرف أباه بالكوفة، شيخاً يسمى عيدان<sup>(٢)</sup>» السقاء يستقي على بغير له، وكان جعفياً صحيحاً النسب». والمتنبي، كما عرفت من اسمه، يعود بنسبة إلى عرب اليمن لأنه جعفي، جده الأعلى، ينتمي إلى قحطان جد اليمينيين. هذا من جهة نسب أبيه الذي يفارقه بقوله:

أَنَا مَنْ بَعْضُهُ يَفْوَقُ أَبَا الْبَابِ

حَثَ وَالنَّجْلَ بَعْضُ مَنْ نَجَّلَهُ  
وهو يزيد بهذا البيت أن أباه أعلى منزلة ونسبة من أبي  
الباحث الذي أعياد البحث عن نسبة المتنبي؛ لأن الولد بعض  
من الوالد.

(١) قد أطّال المعاصرُون في موضوع «نسب المتنبي» هل هو من قبيلة «كندة» أم أنه «علوي» كما يقول محمود شاكر في رسالته عن «المتنبي»، أم أنه «دعى مجاهول الأب»! كما يرجح طه حسين في كتابه «مع المتنبي». وكل هذا - كما سبق - لا يهمني في رسالتي هذه لأنني أعلم قوله تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ» وأحكام على الرجل من خلال ما ظهر لي من شعره لامن خلال تخيلات أو ظنون قد لا يخالفها الصواب.

(٢) عيدان وليس عبدان السقاء كما جاء في تاج العروس وانظر: «المتنبي» لمحمد شاكر «ص ١٣٧».

وأما جدّه فكانت همدانية وهي من نساء الكوفة . ولقد كان المتنبي كَلِفَاً بأمر هذه المرأة التي كانت قد شملت حفيدتها بكل عناية وحنو . وعندما توفي رثاها المتنبي بقصيدة عصماء حدد لنا فيها مقدار العلاقة الطيبة التي تربطه بها عله يستطيع في ذلك أن يرد لها بعض الجميل الذي أسدته إليه في طفولته «كونها له أمّا» ولكن القدر كان أقوى من تطلع المتنبي إلى القيام بعملية الوفاء لها ، كما أن أعداءه أندروه في حال دخوله الكوفة فآخر الذهاب إلى بغداد وقلبه يتفتر لوعة وأسى ؛ لأنّه لم يُلق نظرة الوداع الأخير إلى تلك الأم الجليلة الوادعة .

وإذا كان المتنبي صحيح النسب ، أباً وأمّا ، فهو بهذا عربيّ  
قح لا غبار على نسبه .

ولم نر من خلال شعره أنه تحدث عن نسبة ولا رضي أن يتحدث عنه صراحة وجهرًا ، وعندما سأله والد التنوخي عن ذلك قال : «أنا رجل أخطب القبائل وأطوي البوادي وحدى ومتى أُنْسِب لم آمن أن يأخذني بعض الأعراب بطائلة بينه وبين القبيلة التي أُنْسِب إليها . ومادمت غير مُنْسِب إلى أحد فأنا أسلم على

جَمِيعَهُمْ وَيَخْافُونَ لِسَانِي»<sup>(١)</sup>. إِذَا تَأْمَلْنَا الْقُصْيَدَةَ الَّتِي مَدَحَ بِهَا  
أَبَا الْعَشَائِرِ الْحَمْدَانِيَّ، وَذَلِكَ بِقَوْلِهِ:

أَنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفْوَقُ أَبَا الْبَابَ

حَثْ وَالنَّجْلِ بَعْضُ مَنْ نَجَّلَهُ

إِنَّ الْكِذَابَ الَّذِي أُكَادُ بِهِ

أَهُونُ عَنِّي مِنَ الَّذِي نَقَلَهُ

فَلَا مِبَالٌ وَلَا مَدَاجٌ وَلَا

وَانِّي وَلَا عَاجِزٌ وَلَا تُكَلَّهُ

فَمِنْ خَلَالِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ نَرَى أَنَّ قَوْمًا قَدْ افْتَرُوا عَلَيْهِ وَكَادُوا

إِلَيْهِ مِنْ جَهَةِ نَسْبَهِ فَرَدٌ إِلَيْهِمْ كَذَبَهُمْ وَادْعَاءُهُمْ بِأَنَّ آبَاءَهُمْ أَعْلَى مَنْزِلَةً

مِمَّا يَتَصَوَّرُونَ؛ فَهُوَ لِذَلِكَ غَيْرُ مِبَالٍ بِهِمْ، وَقَادِرٌ عَلَى الصَّمْدُودِ فِي

وَجْهِ التَّحْديَاتِ بِنَفْسِهِ، دُونَ اللَّجوءِ إِلَى الْاسْتِعَانَةِ بِأَحَدٍ مِمَّا

سَمَا وَعَلَتْ مَنْزِلَتِهِ.

وَهُوَ نَفْسُهُ أَوْلَى بِالْفَخْرِ وَالْاعْتِدَادِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ مَوْطِنُ

الْفَخْرِ لِدِي آبَائِهِ وَأَجَدَادِهِ، وَبِهِ مَجْدُهُمْ وَشَرْفُهُمْ كَمَا نَرَى مِنْ

خَلَالِ قَوْلِهِ:

(١) تَارِيخُ بَغْدَادِ (٤/١٠٣).

ما بقومي شرفتُ بل شرفوا بي  
وبنفسي فخرتُ لا بجدودي  
وبيهم فخر من نطق الضاد  
وعوذُ الجاني وغوثُ الطريد

أو قوله:

ولستُ بقانعٍ من كلِّ فضلٍ  
بأنَّ أعزِي إلَى جدٌ همامٌ

وفي رثاء جدته يقول:

ولو لم تكوني بنت أكرم والد

لكان أباك الضخم كونك لي أمًا

فهو هنا يرى أن قيمة جدته لم تسم إلا لأنها أأم له.

وإذا كان المتنبي لم يصرح بنسبة علانية، فهل نستطيع أن نلمس صدق انتتمائه إلى القبائل اليمنية من خلال مدحه لشجاع ابن محمد الأزدي، وعلي بن أحمد الطائي، وشجاع بن محمد الطائي، وعبيد الله بن يحيى البحري، وأخيه أبي عبادة، أو من مدحه للتونخيين في اللاذقية ومنهم علي بن إبراهيم التنوخي الذي قال فيه:

أُنسِي السُّكُون وَحْضُر مُوتاً

وَوالدِتِي وَكَنْدَة وَالسَّبِيعَا

أو من شعره في تفضيل اليمن على خنْدِف في قوله:

قَسَاعَة تَعْلَمْ أَنْسِي الْفَتَى

الذِي ادْخَرْتُ لصِرْوفِ الزَّمَانِ

وَمَجْدِي يَدْلُ بْنِي خَنْدِف

عَلَى أَنْ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِي

أو في مدح عبيد الله بن يحيى البحتري بقوله:

كَفِي بِأَنَّكَ مِنْ قَحْطَانَ فِي شَرْفِ

وَإِنْ فَخَرْتَ فَكُلْ مِنْ مَوَالِيكَا

أو في مدح أخيه أبي عبادة البحتري بقوله:

قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْمَجْدَ مِنْ مَضْرِ

حَتَّى تَبْحَثَرْ فَهُوَ الْيَوْمُ مِنْ أَدَدِ

وَهُلْ يَمْكُنْ أَنْ نَعْدَهُ مَضْرِيًّا مِنْ خَلَالِ مَدْحَهُ لِأَبِي الْحَسِينِ

عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ الْمُرْيَ في جبل جرش، في قصيدة التي مطلعها:

لَا افْتَخَارٌ إِلَّا لِمَنْ لَا يَضْمَامُ

مَدْرِكٌ أَوْ مَحَارِبٌ لَا يَنْسَأُمُ

إِلَى أَنْ يَقُولُ:

إنما مرءُ بْنُ عوف بن سعدٍ  
 جمراتٌ لا تشتهيها النعام  
 ولا يضير المتنبي سواء انتسب إلى قحطان أو إلى عدنان،  
 لأن الفخر هو بالعمل الصالح لا بالأنساب، وقد قال عليه السلام: «من  
 بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه»<sup>(١)</sup>.

أما مذهب الدينى : فقد اختلفت فيه الأقوال أيضاً، حيث  
 حاول بعض الروافض أن ينسبوه إلى مذهبهم، كما فعل القمي  
 في كتابه «الكنى والألقاب»<sup>(٢)</sup> ومحسن الأمين! في كتابه «أعيان  
 الشيعة»<sup>(٣)</sup>.

وزاد بعضهم على هذا عندما ادعى أنه كان قرمطياً! كما  
 يزعم طه حسين في كتابه «مع المتنبي» حيث قال (ص ٤٥) : «إن  
 المتنبي قد نشأ نشأةً شيعية غالبةً، لم تلبث أن استحالت إلى  
 قرمطية خالصة».

وخالفهم آخرون في هذا الرأي؛ كالدكتور محمد محمد  
 حسين في كتابه «المتنبي والقramطة».

(١) أخرجه مسلم.

(٢) (١١٤ / ٣ - ١١٨).

(٣) نقاً عن «المتنبي» لخليل شرف (ص ٢٣).

وتوسّط آخرون باختيارهم أن المتنبي كان علوياً - أي يتتمي إلى العوائل العلوية - وهذا اختيار محمود شاكر في كتابه «المتنبي».

والذي يطالع ديوان الشاعر لا يجزم بأيٍ من تلکم الآراء السابقة، لأن أبا الطيب - كما يظهر من شعره - لا يُقيِّم وزناً لمسألة المذهب، لأنَّه مشغول عنه بتحصيل طموحاته الدينية الشخصية. وكما أنه قد مدح بعض أفراد الشيعة، كذلك فإنَّه قد مدح بعض أهل السنة. ولا ينفي هذا أن تكون نشأة الرجل الأولى شيعية نظراً لبيئته، ولكنها لم تظهر في شعره، وهذا ما يهمنا إثباته.

أما حياته: فيمكن تقسيمها إلى أربع مراحل: المرحلة الأولى تمتَّد من سنة ٣٠٣ هـ إلى سنة ٣٣٧ هـ في العراق والشام، والمرحلة الثانية من سنة ٣٣٧ هـ إلى سنة ٣٤٦ هـ في حلب، والمرحلة الثالثة في مصر من ٣٤٦ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ، والمرحلة الرابعة في العراق وفارس من سنة ٣٥٠ هـ حتى وفاته سنة ٣٥٤ هـ. وهذا هي بالتفصيل:

## المرحلة الأولى من حياة المتنبي (٥٣٧-٣٠٣ هـ)

جاء في يتيمة الدهر للشعالي أن المتنبي ولد «بالكوفة سنة ثلث وثلاثمائة، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها، ومن مدرها<sup>(١)</sup> إلى وبرها<sup>(٢)</sup> ويسلمه<sup>(٣)</sup> في المكاتب ويردده في القبائل، ومخايله<sup>(٤)</sup> نواطق<sup>(٥)</sup> الحُسْنِي عنه، وضوامن<sup>(٦)</sup> النجح فيه، حتى ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع<sup>(٧)</sup>.

ومن هنا قيل: «وكل إناه بالذى فيه ينضح» إذ إن علائم الذكاء قد بانت على أحمد بن الحسين منذ نعومة أظفاره، ونما على حب العلم في بلدة كالكوفة، وقد كانت منارة علمية يؤمها

(١) المدر: الحضر سكان المدن المبنية من الصخر والطين.

(٢) الوبر: الذين يسكنون خيام الشعر.

(٣) يسلمه: ينزله ويدخله.

(٤) مخايله: علائمه وسماته.

(٥) نواطق: مخبرة.

(٦) ضوامن: من ضمن: كفل وتعهد.

(٧) يتيمة الدهر (١١١/١ - ١١٢).

الناس من كل حدب وصوب، فكيف لا يستفيد منها ويعب من علمها الجم واحد كالمتنبي الذي قصد كُتابها ونهل منه كل ما توصلت إليه حضارة القرن الرابع الهجري من تنوع وغنى في شتى أنواع العلوم والفنون الأدبية واللغوية التي تهيا لها جهابذة، كبار، هم في الحقيقة قمة الهرم الحضاري الضخم الذي تم خضت عنه عبقرية المتنبي الذي استطاع أن ينفذ إلى أصول تلك الثقافة العلمية والأدبية واللغوية، بفضل مأowته من القدرات من ناحية، ومن ناحية ثانية باعتماده على أولئك الجهابذة الأعلام ونخص منهم: أبا عمر الزاهد ونقطويه ودرستويه وأبا بكر محمد بن دريد الذي يُعد خاتم أدباء ذلك العصر، وأبا القاسم عمر بن سيف البغدادي وأبا عمران موسى.

إن معرفة المتنبي بأولئك العلماء وغيرهم قد جعلت منه أدبياً كبيراً، ولم يكن في وقته من يدانيه في شعره وأدبه.

لقد أكد الرواة أن تأصيل ثقافة المتنبي وعلمه كانت في الكوفة وحدها، وخصوصاً في كُتاب العلوين الذي لاقى فيه المتنبي كل عنابة واهتمام حيث لُقِّن فيه ثقافة حركت في نفسه مكامن الطموح، فاندفع يطلب المجد والرئاسة في الوقت الذي

لم يعد فيه أي قيمة للإنسان المثال إذ إن الأمر قد أفلت من أيدي أصحابه القادرين على المحافظة على أمور الناس ورعايتها حقوقهم، الأمر الذي جعل البلاد تعيش في جو من الفوضى في ظل غياب القائد الحازم حيث عمّت الأضطرابات وانتشرت الفتنة ولم يعد يعتمل في نفوس الناس عموماً غير القلق والخوف، حيث لم يبق من الخلافة العباسية الإسلامية إلا اسمها، وغُزِّيت الكوفة أكثر من مرة من قبل القرامطة كما غزت معظم المدن مما اضطر الناس إلى التزوح عن مدنهم وقراهם.

وقد يُظن في هذا المجال أن المتنبي قد نزح إلى بغداد ولم يكن معه غير خمسة دراهم، وبينما كان يتتجول الفتى الناشئ في أسواق تلك المدينة العامرة رأى رجلاً يبيع خمس بطيخات فطلبتها منه المتنبي فأبى الرجل أن يبيعها له إلا بعشرة دراهم، وإذا بشيخ يمر فناداه البائع قائلاً: أتسمح أن أحمل هذا البطيخ إلى بيتك؟ فقال الشيخ: كم ثمنه؟ قال: خمسة دراهم. فقال الشيخ: لا، بدرهمين فقط، فحملها له. والمتنبي يتعجب من ذلك قائلاً للبائع: أعطيتك خمسة دراهم وبعutه بدرهمين محمولاً؟ فأجابه البائع: اسكت هذا يملك مئة ألف دينار.

لقد كان لهذه الحادثة أثر عظيم على نفس المتنبي حيث

أتمت عنده سعيه الحديث نحو المال وحب الرئاسة وكره الناس،  
وفي ذلك يقول:

فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله

ولا مال في الدنيا لمن قل مجدهُ

إذا كان أحمد بن الحسين قد نهل مانهيل في الكوفة، من  
الثقافة، من كتابها وعلمائها، فإنه قد نمت عنده رغبة حب  
الدرس والتحصيل، فاعتمد في سبيل ذلك على نفسه التواقة إلى  
العلى، فكان يجلس آخر النهار - وبعد أن يفرغ من تناول الطعام -  
إلى كتبه ودفاتره يدرس وينقب حتى يمضي من الليل أكثره،  
وكان تلك عادته في كل ليلة - على حد ما جاء في الصبح  
المُنبِي -

وهو إلى ذلك كان كثير الاطلاع، ويعمل بشكل دائم على  
تلقيف العلوم الأدبية واستلهامها أني وجدها. ومن جملة ما كان  
يطالعه ويهتم به ديواني الطائين - أبي تمام والبحترى -  
ويستصحبهما معه في أسفاره. وقد سئل مرة: هذا البيت أخذت  
معناه من قول الطائي؟ فقال: «الشعر جادة وربما وقع حافر على  
حافر». وإذا كان المتنبي يجحد ديواني الطائين فهذا يعود إلى  
قصور منه، لأن المطالعة من حقه، ويدوتها لا يمكن للأديب أو  
الشاعر أن يبني صرحه الثقافي ويصدق قدرته الفنية

ويشحذ موهبته الأدبية. وذلك لأن الشاعر الحق قبل أن يكون شاعراً عليه وبشكل جازم أن يلم بإنتاج من سبقوه، ويعمل على تجاوزهم في عطائه؛ حتى يكون من المبدعين.

ولعل أوائل شعر المتنبي تدل دلالة قاطعة على أن مواهبه قد تفتحت وهو ما زال صبياً في كتاب الكوفة، ومن ذلك قوله:

لا تَخْسُنِ الْوَفْرَةَ حَتَّى تُرَى

منشورة الضفريين يوم القتال

على فتى معتقل صعدة

يعلها من كل وافي السبال

وليس غريباً على المتنبي أن يقول مثل ذلك، ونحن قد المحننا بإيجاز إلى منابع تربيته الشخصية، وظروف عصره السياسية، والفتنة الدامية التي كانت تعبث فيه؛ فمن أجل ذلك كله نرى أن شاعرنا كان صدى لذلك العصر، وهو يرسم على حداثة سنه، مثل تلك الصورة الدامية التي يجعله يطمح إلى الجهاد، والثورة ضد سياسة عصره التي خلقت فيه نفسية متوصبة .

ولعل الفتى الناشيء أحس أنه من الواجب أن ينطلق إلى البادية ليفيد منها ما يشاء - على عادة من سبقوه - ويتتفع من

مشافهة الأعراب لخلو ألسنتهم من العجمة التي عمت قرى العراق، فمكث بها طويلاً، وعاد بعد سنين بدوياً قحاً بعد أن أحاط بشكل دقيق « باللغة والعلم الواسع أيام العرب وموافقها وأنسابها » وغير ذلك مما له أثر بالغ في إنماء موهاب الفتى الفنية والإبداعية.

أما انصراف المتنبي في تلك الآونة عن مدح رجال الحكم وعلى رأسهم الخليفة الذي كان العوبة في أيديبني بويه، فييمكن أن يعود إلى أمور عديدة أهمها :

أ - إن نزعة المتنبي العلوية كانت تأبى عليه أن يمدح الخليفة العباسي أو يتصل به على الأقل، لأنه لا يمثل - في نظره - الوجه الشرعي للحاكم المسلم.

ب - إن شاعريته وتساميه يأبىان عليه أن يمدح أناساً قد ابتعدوا « عن جد الأمور » وانصرفوا إلى اللهو والعبث، حيث كانت الغيرة والشقاوة تدبان في نفوس الناس فيحتكمون غالباً إلى السيف أو إلى المراوغة، فتزهق الأرواح أو تهدر الكرامات بإهراق ماء الوجوه.

ج - إنبني بويه، وهم ذلك الجسم الغريب عن أرض العرب، كانوا سبب هذا التشرذم والضياع وأداته.

وإذا كان المتنبي لم يجد في حكام العراق من يستحق المدح والثناء فإنه وجد فيهم الشخصية المتخاذلة التي نفرت من الملوك، حتى وجد الخير كل الخير في البعد عنهم وعدم لقائهم، وإعلان الحرب عليهم بشعره.

أما حال المتنبي المادية، فإن الرواة لم يتكلموا عنها تصريحًا أو تلميحاً، وإنما نستطيع أن نستقرئها من خلال شعره حيث يقول:

أين فضلي إذا قنعتُ من الدهـ

ر بعيشِ مُعجل التنكيد  
ضاق صدرِي وطال في طلب الرّزْ

ق قيامي وقل عنِه قعودي

أو قوله وهو يخاطب نفسه التي تدفعه إلى المجد

والشهرة، ولكن بشكل رخيص وبدون تعب وتضحية:

تريدين إدراك المعالي رخيصة

فلا بد دون الشهد من إبر النحل

أو قوله كذلك:

أذاقني زمي بلوي شرقت بها

لو ذاقها لكى ما عاش وانتجا

ألا ترى في قوله هذا مقدار المرارة التي يعانيها المتنبي من  
ظلم الزمان وجوره؟ ذلك أن الزمان لو تجرد إنساناً يحس ويشعر  
وذاق تلك البلوى لقضى العمر منتحجاً باكيأ!

لقد ضاق المتنبي ذرعاً في العراق، فيمم وجهه شطر  
الشام عليه يجد فيها ما يؤنس ويخصب. وما كاد يصل إلى اللاذقية  
سنة ٣٢٠هـ حتى تورط في قصة النبوة ودخل من أجلها السجن  
بأمر من عامل الإخshيد الذي مالبث أن استتابه وأطلق سراحه بعد  
أن ذاق المتنبي الأهوال، ورأى الموت رأي العين لما ساموه إياه  
من ألوان العذاب المختلفة. وبعد خروجه من السجن هام على  
وجهه وأوشك أن يفقد الأمل، لو لا أن حط عصا الترحال في  
حضره بدر بن عمّار الذي أحيا في نفس أبي الطيب ميت الأمل  
سنة ٣٢٨هـ.

لقد وجد المتنبي في بدر رجلاً عربياً شهماً وشجاعاً  
وكريماً، طيب النفس، كارهاً للعجز، فذ الرجولة، فبقي في  
جواره بطبرية التي كان والياً عليها من قبل ابن رائق، إلى أوائل  
سنة ٣٣٣هـ.

وأما بدر فقد وجد في المتنبي ما وجده المتنبي فيه، من  
ملامح العظمة والطموح فأكرمه، وأجزل له وشجعه على أن

يقول فيه مالم يستطع الدهر محوه، ولكن الصفاء لم يطل لأن الوشاة والمفسدين قد أوقعوا بين الشاعر وأميره وأوغرروا صدر بدر على المتنبي، الأمر الذي اضطره إلى الرحيل إلى دمشق قاصداً عملاً من أعمالها يقال له حمى جرش، تحت إمرة أبي الحسين علي بن أحمد المري الخراساني، إذ كانت بينهما مودة وهمما بطيرية، وذلك سنة ٣٣٢هـ واحتتمى به حيث مدحه المتنبي بقصيدتين . لقد حدد في الأولى معالم نفسه بحكمتها وعلوها وقدرتها وانتفاضتها وثورتها، وفي القصيدة الثانية حدد سيره في البوادي وواصفاً إياه، وقد عرض بابن كروس الذي أوقع بينه وبين صاحبه ابن عمار، واعتذر من صديقه المري مودعاً في آن معاً.

ثم مالبث أن اتجه شطر أنطاكية التي دخلها سنة ٣٣٤هـ وبها أبو عبدالله الخصيبي، فقصده المتنبي ومدحه واصفاً رحلته في البادية وخشيته من أن يُفتَّك به فيها.

وفي هذه الأثناء جاءه كتاب من جدته تعاتبه وهي تبدي نحوه أجمل أشواقها وتطلب منه التوجه إلى العراق ففعل ، ولكنه لم يستطع دخول الكوفة فدخل بغداد وكتب إلى جدته أن تذهب إليه ، وعندما استلمت تلك المرأة كتاب حفيدها سقطت ميتة من

الفرح ، فقال فيها سنة ٣٣٥هـ قصيدة المشهورة التي مطلعها:  
ألا لا أرى الأحداث مدحا ولا ذما

فما بطشها جهلا ولا كفها حلما

ثم لم يلبث بعد ذلك أن رجع من بغداد إلى أنطاكية حيث

مدح أبي الفضل أحمد الأنطاكي في القصيدة التي مطلعها:  
لك يامنازل في القلوب منازل

أقفرت أنت وهنَّ منك أو اهلُ

وبعد ذلك لبى المتنبي دعوة أبي محمد الحسن بن طعج ،

والى الرملة ، سنة ٣٣٦هـ ، بعد أن ألح بدعوته إليه ، فأكرمه وأجزل له العطاء . فقال فيه المتنبي شعرًا كبيراً ثم مالبث أن طلب منه أن يمدح طاهر بن الحسين ، وهو شيخ من شيوخ العلوين بالرملة ، فمدحه إكراماً لابن طعج .

وفي سنة ٣٣٦ صمم أبو الطيب على الاتصال بأبي العشائر

الحمداني ويتم وجهه شطر أنطاكية ، فمر بطرابلس ، وبها ابن كيبلغ الذي راسل المتنبي أن يمدحه ، فاحتاج المتنبي بيمين أقسمه أن لا يمدح أحداً إلى مدة محددة ، فعاقه وسد عليه منافذ الطرق . ولكن المتنبي تمكن من الذهاب إلى دمشق ولم يستطع ابن كيبلغ من اللحاق به ، وهجاه أبو الطيب بقصيدة التي مطلعها :

لهُنَى الْقُلُوبُ سَرِيرَةٌ لَا تَعْلَمُ  
عَرْضًا نَظَرْتُ وَخَلَّتُ أَنِي أَسْلَمَ

إِلَى أَنْ يَقُولُ :

وَإِذَا أَتَاكَ مَحْدَثًا فَكَأْنَهُ

قِرْزٌ يَقْهَقِهُ أَوْ عَجْوَزٌ تَلْطِيمُ

وَمِنْهَا كَذَلِكَ :

ذُو الْعِقْلِ يَشْقَى فِي النَّعِيمِ بِعَقْلِهِ

وَأَخْوَوْهُ الْجَهَالَةُ فِي الشَّقاوَةِ يَنْعَمُ

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النُّفُوسِ إِنْ تَجِدُ

ذَا عِفْفَةً فَلَعْلَةً لَا يَظْلِيمُ

ولكن المتنبي لم يشن عن تصميمه، فقد وصل إلى أنطاكية  
وأتصل بأميرها أبي العشار الحمداني الذي كان والياً عليها من  
قبل سيف الدولة أمير حلب. وكانت علاقة المتنبي بأبي العشار  
علاقة احترام وتقدير وإعجاب حيث مدحه المتنبي بأكثر من  
قصيدة، وفي مناسبات مختلفة. ودخول المتنبي أرضبني  
حمدان كان بعد أن تهيأت له شروط النضيج إذ بلغ عمره الثالثة  
والثلاثين، وأصبح قادراً على التصرف بأمور اللغة لامتلاكه  
ناصيتها، وقد صقلت إحساسه التجارب.

## المرحلة الثانية (٢٣٦-٢٣٧هـ)

### في رحاب سيف الدولة:

ولحسن حظ المتنبي، قدم - في تلك الفترة - سيف الدولة إلى أنطاكية، فقدّم أبو العشائر المتنبي إليه بعد أن أثني عليه كل عبارات الثناء، فكان ذلك بداء الاتصال بين سيف الدولة والمتنبي، فمدحه المتنبي في جمادى الأولى سنة ٢٣٧، ونقله معه إلى حلب بعد أن أمضى المتنبي في حضرة أبي العشائر ما يقرب من سنة كاملة.

لقد كان لتعرف المتنبي على سيف الدولة شأن مهم في تاريخ الأدب العربي. لقد عرفنا عن المتنبي أنه يتمتع بنفس وثابة طموحة فهو من الذين لم يرقيهم ما كان يسود القرن الرابع الهجري من الأمور السياسية المتردية فنادوا: الثورة! الثورة!

والمتنبي، ومنذ نعومة أظفاره، قد حمل لواء هذه الثورة وهو يدعو الناس إلى أن ينفضوا عنهم غباز الذل والخنوع والاستكانة، فاسمعه يقول وهو يخاطبهم من خلال نفسه:

عشْ عزيزاً أو مُثْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ

بِين طَعْنِ الْقَنَا وَخَفْقِ الْبُنُودِ

فرؤوس السرّماح أذهب للغي  
ـ ظ وأشفي لغل صدر الحقدوـ  
ـ فاطلب العز في لظى وذر الدُّـ

لَ ولو كان في جنان الخلود<sup>(١)</sup>

ولما لم يجد فيهم أذناً صاغية أخذ يتعالى عليهم بعد أن  
أحس بأنه طائر يغزو في غير سربه، إلى أن تهيأت له الظروف  
وأتصل بسيف الدولة، إذ وجد فيه ضالته وبيت القصيد عنده.

حقاً إن سيف الدولة كان فيما سبق من حياة المتنبي يمثل  
الحلقة المفقودة التي كان يبحث عنها، فوجدها متمثلة في عليّ  
بن أبي الهيجاء بن حمدان بن الحارث بن لقمان بن راشد من بني  
تغلب.

لقد كان عليّ بن أبي الهيجاء بن حمدان شاعراً مجيداً  
وناقداً ذا بصير بالشعر، إضافة إلى كونه فارساً مغواراً ذا أطماءع  
سياسية بعيدة خاض من أجلها المعارك العديدة مع جند الإخشيد  
بالشام، ومع جند الروم في الشمال، ورجع من معظمها سالماً  
مستمراً.

ولقد وجد المتنبي في صفات سيف الدولة واكتمال معالم

(١) سيأتي التعليق على ما في هذا البيت من مؤخذات شرعية.

الرجلة فيه صدى لما تعتمل به نفسه، فأحب علياً الشاعر والناقد والفارس والعربي القع الذي يناهض الأعداء من فرس وروم، ويسجل عليهم الانتصار تلو الانتصار، والمتنبي شاعر وناقد وفارس يدعو إلى الثورة ويفتش عنمن يعضده بها ليرفع الضيم عن الناس في عصره الذي كانت تسوده الفوضى والإرهاب من التمزق الاجتماعي والفراغ السياسي، الأمر الذي جعل الخوف والقلق يتسربان إلى نفوس الناس حيث سيطر عليهم اليأس وانعدام الرجاء وانقطاع الأمل.

لقد انصرف المتنبي إلى سيف الدولة وأصبح شاعر بلاطه المفوه، كما امتاز عن غيره من شعراء هذا البلاط بأمور كثيرة منها: أنه لا يُلقي قصائده أمام سيف الدولة إلا وهو جالس، ولا يقبل الأرض بين يديه لأنه يعتبره نده، الأمر الذي جعل بعض الناس، آنذاك يتهمون المتنبي بالجنون.

أما شعر المتنبي في هذه المرحلة من حياته فإنه يحمل الكثير من ملامح التجاوز التي بدأت بالتفتح في اللاذقية عند التنوخيين أولاً، ثم مابدر منه من تجليات في مدح بدر بن عمار في طبرية ثانياً ثم ما صدر عنه من شعر في مدح محمد بن طفح ثالثاً. وهذا التجلي في عمليات التجاوز تلك، قد حظ رحاله في

شخص سيف الدولة، حيث بلغ المتنبي في شعره فيه، مالم يبلغه أحد من الشعراء ممن أتى قبله ولا بعده في تاريخ الأدب العربي كله، ولهذا قال ابن رشيق القير沃اني في كتابه العameda: «وليس في المولددين أشهر اسماً من الحسن بن هانئ، أبي نواس، ثم حبيب (أبي تمام) والبحترى ويقال إنهم أخهلاً في زمانهما خمسماة شاعر كلهم مجيد، ثم يتبعهما في الاشتهر ابن الرومي وابن المعتر . . فإن هؤلاء الثلاثة (أبا نواس وأبا تمام والبحترى) لا يكاد يجهلهم أحد من الناس، ثم جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس»<sup>(١)</sup>.

لقد جمع سيف الدولة في بلاطه - إضافة إلى كونه أديباً وشاعراً وذوقة للشعر - من الأدباء والشعراء والعلماء مالم يجتمع مثله إلا في بلاط هارون الرشيد.

ولقد عظم مقام المتنبي في بلاط سيف الدولة وشعر المتنبي فيه بشيء من الرضا النفسي والاطمئنان الروحي، إذ كان يذهب في الغزوات مع سيف الدولة مقدماً على الجنود والقواد، كما بات قرير العين إذ أقطعه الأمير قرية قرب حلب اسمها سبعين، كان ذلك لأن الأمير سيف الدولة قد أدرك ملامح

(١) العameda (١٠٠/١).

الطموح في نفس المتنبي إلى السلطان والحكم .

هذه الخطوة التي لقيها المتنبي قد أوجبت النار حسداً وغيظاً في قلوب الكثيرين في بلاط سيف الدولة، مما جعلهم يعملون على أن يوقعوا بين الأمير وشاعره، إلى أن تمكنا من إيغار قلب سيف الدولة على المتنبي، إذ كانوا يتنازعون على الألفاظ والإعراب والأشعار بينما يغزو الروم ميافارقين سنة ٣٤٥هـ ويهدمونها ويقتلون من أهلها عدداً كبيراً بعد أن سبوا من سبوا ونهاوا ما نهبوا .

هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية فإن معز الدولة حاول أن يضغط على سيف الدولة بسبب تقاус أخيه ناصر الدولة وإخلافه مع سالف الخلافة حقها، ابن بويه، الأمر الذي اضطر سيف الدولة إلى أن يفاوض على مقادير بالغة من المال سنوياً فرضي ابن بويه وانصرف عن حرببني حمدان لأن المال عنده أлем من الحرب وخصوصاً أن الناس قد امتنعوا عن دفع الخراج لقصر ذات يدهم .

وقد قيل: إن المتنبي شارك سيف الدولة في غزوة إلى بلاد الروم ولم ينج من العرب في تلك الغزوة غير سيف الدولة وستة فرسان من صحبة أحدهم المتنبي .

وإذا نظرنا إلى شعر المتنبي في هذه المرحلة فلا نرى أنه مجرد ألفاظ مرصوفة وإنما هو في الحقيقة صور لأحساس تنبع عن قلبه ومن شعوره، ولعل أجود الشعر حقيقة هو أكثره علواً بالنفس لأنها مصدر التأثير والانفعال. وكيف إذا كان الأمر يتعلق بشاعر كالمتنبي، أحس بالاندفاع نحو المثل التي تتطلب جرأة وشجاعة وفروسيّة وبطولة، فال مدح في البطولة عند المتنبي يتصل بالعمق عند صياغته، وأما في غيرها فلا يمكن أن يتجاوز السطح الظاهري من قلبه.

ولعل المتنبي عند مواكبته لسيف الدولة لم يسعه أحداث سيف الدولة وشمائله وحسب، إنما سجل نفسه في مشاعرها المختلفة؛ في فرحتها وحزنها، في حبها وكرهها، في تعاليها وانقباضها، في طموحها، في اطمئنانها وقلقها.

وإذا كان المتنبي قد أجاد وحَلَقَ في مدح سيف الدولة فلعلمه أن كلامه كان على مستوى قدرات ممدوحه الأدبية واللغوية والشعرية والبيانية إضافة إلى المكانة التي كان يتحلى بها رجال بلاطه. فهو بهذا صناع حاذق تجاوز قدرات النخبة الرائدة في زمانه. الأمر الذي خلق له حساداً كثيرين - كما ألمحنا قبل قليل - استطاعوا أن يعرضوا به ويُوغروا صدر الأمير عليه لأنه

كان لتعالي نفسه واعتداده بها يقف من الأمير موقف الند للند، وهو لم يكن كلفاً به إلا لأنه يحمل الصفات نفسها التي يراها في العربي المثال الذي كان يرثو إليه منذ أن أبصر النور وتعمقت نفسه بحقيقة الأمور.

وأما موقفه من الناس فقد كان دون ذلك حيث ترك في كل حاشية دخلها حсадاً وأعداء؛ كابن كرسوس في حاشية بدر بن عمار ومثله في حاشية أبي العشائر، وما أكثرهم في حاشية سيف الدولة، حتى قال فيه الواحدي، وهو من شراح ديوانه: «ولكن الرجل (المتنبي) سيء الرأي، وسوء رأيه أخرجه من حضرة سيف الدولة». وسوء رأيه هذا دليل على أنه لا يعرف المداراة، إذ لا شيء أصعب من مداراة الحсад.

لقد استجاب سيف الدولة لأقوال المغرضين وتلون عليه ولم يثبت معه على حال، فلم يجد المتنبي بعد ذلك إلا الرحيل، وخصوصاً بعد أن رماه سيف الدولة بدوامة أسالت الدماء على وجهه، فقال المتنبي على الفور ارجالاً:

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا

فَمَا الْجَرْحُ إِذَا أَرْضَاكُمْ أَلْمُ

وقيل كذلك إن ابن خالويه، وهو أستاذ سيف الدولة، قد

ضربه بمفتاح كان يحمله، فغضب أبو الطيب وغادر حلب  
هتوجهاً إلى دمشق في أواسط سنة ٣٤٦هـ - ٩٥٧م.

لقد تجلت في هذه المرحلة شاعرية المتنبي في دقة تصويره للحروب وهو يجسد بطولات سيف الدولة فيها، خاصة مما نستدل على أنه كان عارفاً بأسرار الجيوش وأساليب القتال. وقد ضمَّن شعره الكثير من الحكم التي ذهبت أمثالاً على ألسنة الناس، أما الأسلوب فقد ابتعد به المتنبي عن التكلف، وجرى في شعره على السليقة.



## المرحلة الثالثة من حياة المتنبي: في رحاب كافور (٢٤٦-٢٥٣هـ)

وصل المتنبي إلى دمشق وعليها من قبل الإخشيد واليهودي يدعى ابن ملك، والتمس من المتنبي أن يمدحه فلم يعره شاعرنا أذناً صاغية؛ الأمر الذي جعل ابن ملك يخبر كافوراً الإخشيدي عن وجود المتنبي في قبضته بدمشق، فأمره أن يرسله إليه. وعندما أحس المتنبي بأن دمشق تضيق به انطلق إلى الرملة فاستقبله أميرها الحسن بن عبد الله بن طفع بالهدايا وحمله على فرس جواد وقلده سيفاً محلّي واعتذر المتنبي عن مدحه. ثم مالبث كافور أن اتصل بابن طفع قائلاً: أترونه (المتنبي) يبلغ الرملة ولا يبلغ إلينا؟ ثم لم يلبث كافور، أن كتب إلى المتنبي نفسه يستدعيه، فوجد الشاعر أن من الواجب عليه الذهاب إلى مصر والمثول أمام كافور.

لقد كان كافور عبداً حبشاً اشتراه محمد بن طفع الإخشيد الذي أسس الدولة الإخشيدية في مصر. وكان كافور على جانب من الذكاء خوله الارتقاء في المناصب حتى أصبح قائداً لجيوش الإخشيد، فقاد الجيوش ضد ابن رائق وضد سيف الدولة

فهزمه وأخرجه من دمشق بيل ومن حلب نفسها، ثم لم يلبث كافور أن ترك له حلب، ومصر لابن الإخشيد أنوجور وذلك سنة ٣٣٥ بعد وفاة الإخشيد.

وانتصار كافور على ابن رائق وعلى سيف الدولة، أطلق يده على مقدرات دولة الإخشيد، وضيق الخناق على أنوجور الذي صمم على الخروج إلى الرملة، فوشت أمّه به إلى كافور فمنعه عن رغبته، ثم لم يلبث أن توفي سنة ٣٤٩هـ، مما اضطر كافور إلى الذهاب إلى دار الخلافة حيث ضمن بقاء الولاية في بني الإخشيد وتعيين علي مكان أنوجور على ولاية مصر، ولكن علياً هذا مالبث أن مات واستقل كافور بحكم مصر سنة ٣٥٥هـ. وبقى على سدتها حتى توفي سنة ٣٥٦.

إلى جانب ذكاء كافور وحنكته السياسية، فقد كان على جانب لا بأس به من الدرأية التامة بعلوم اللغة العربية وأدابها. بدليل جوابه على بيت المتنبي الذي يندد فيه بمقتل شبيب الخارجي إذ يقول:

وقد قتل الأقران حتى قتلته  
بأضعف قرن في أذل مكان

فأجابه كافور على الفور لإحساسه بالتعريض به قائلاً:

«لا والله بل بأشد قرن في أعز مكان».

ومن صفات كافور، إلى ذلك، حبه للعلم والعلماء واستماعه إلى الشعراء الذين كان يجيزهم ويجزل لهم العطاء. إضافة إلى أنه كان ديناً متواضعاً سخياً كثير الهبات والخلع على حد تعبير المقرizi في خططه.

هذا كافور في كتب التاريخ والأدب ولكن في كافوريات المتنبي: فدم، غبي، يُباع في الأسواق بأبخس الأثمان، وهو دامي الأذن، نكد، منحرف، ولا شيء يقدر على تقويمه إلا العصا التي ينبغي أن تبقى مشهورة فوق رأسه وبين كتفيه حتى تُطوعه ويُسهل قياده!

أما غرض كافور من دعوة المتنبي فهو كغرض أي رجل يسعى إلى المجد والشهرة وذيوع الصيت، ولا شيء يقود إلى ذلك إلا شعر شاعر مفوه كالمنتبي. وأما غرض المتنبي عند كافور فهو رغبته في أن يوليه كافور على صيدا. وقام المتنبي بكل ما يمكنه في سبيل تحقيق تلك الرغبة التي كان كافور قد وعده بها. ولكنه لم ينل من كافور سوى المماطلة والتسويف، الأمر الذي جعل المتنبي يفقد الأمل في إنجاز ذلك الوعد الذي بذل في سبيله ماء وجهه بعد أن تخلى عن كثير من الشروط التي كان قد اشترطها على سيف الدولة سابقاً، إذ إنه كان يلقي شعره

بين يدي كافور وهو واقف على عكس ما كان يحدث في حضرة سيف الدولة. وعندما سئل كافور عن تلك المماطلة قال: «هو في الفقر وعدم العون سمت نفسه إلى **الثبوة**، فكيف يكون أمره إذا أصاب الولاية!»

وكافور بهذا الجواب سياسي داهية محنك، ولا يُستبعد أن يفوته شيء مما جاء في شعر المتنبي من التعرض به تصريحاً وتلميحاً. وإذا تأملنا قوله يمدحه:

**أغالبُ فيك الشوق والشوقُ أغلبُ**

وأعجبُ من ذا الهجر والوصلُ أعجبُ  
فماذا نرى؟ فالضمير من «فيك» يرجع إلى سيف الدولة،  
ويريد بالهجر مفارقته سيف الدولة، وبالوصل مقدمه على  
كافور، ثم يزيد بقوله:  
**أما تغلط الأيام فيَ بَأْنَ أَرِي**

**بغضاً تُنائي أو حبيباً تُقَرِّبُ**

عشية أخفى الناس بي من جفوتهُ  
وأهدى الطريقين التي أتجنبُ  
وإذا كان كافور، كما أشرنا، أديباً من أدباء عصره وذو افة  
للأدب، فهل تخفي عليه هذه الضمائر التي تعود إلى حنين  
المتنبي إلى سيف الدولة؟ ولقراء هذا البيت:

إنما الجلد ملبسٌ وايضاً ضُرُّ الـ

نفسِ خيرٌ من ايضاض القباء

ألا ترى أن في هذا القول سخرية من خلال تعريضه به

لشدة سواده الذي جعله المتنبي مادة مدحه؟

ألا تلاحظ أن مثل هذه الأقوال، في معرض المدح، لا

يمكن أن تحمل في نفس كافور إلا الحيطة والحذر من مادحه

والبغض له وتحيُّن الفرص للانقضاض عليه في الوقت المناسب؟

لقد أقام المتنبي في مصر من جمادى الثانية سنة ٣٤٦هـ

إلى التاسع من ذي الحجة سنة ٣٥٠هـ، مدح فيها كافوراً يتسع

قصائد وقطعتين. ويعادل ما أنتجه المتنبي في كافور ربع ما أنتجه في سيف الدولة.

ولم يغرب عن بال المتنبي، في حضرة كافور، ما كانت

عليه مصر، والفسطاط خصوصاً، من المستوى الثقافي البالغ

الأهمية، الأمر الذي جعل المتنبي يدقق شعره ولا ينشده إلا بعد

أن يخضعه لامتحان عسير من النقد والتمحيص، ولأجل ذلك

قال طه حسين «ولست أغلوا إن قلت: إن شعر المتنبي في مصر

أقلُّ سقطاً من شعره في حلب، لأن المتنبي فيما يظهر كان يقدر

العلماء والمثقفين المصريين، وثم سبب آخر لابد من الإلمام به والإشارة إليه. فأكثر شعر المتنبي في حلب، حين يقول الشعر في المناسبات المختلفة، مرتجلاً حيناً وطائعاً للأمر حيناً، ومتكلفاً حيناً آخر ومتكلفاً ليثبت أمام منافسيه مرة ثالثة. أما في مصر فشعر المناسبات لا يكاد يوجد في الديوان، ولم يحتج الشاعر إلى الارتجال؛ لأن اتصاله بكافور لم يكن من القوة بحيث يشير حاجته إلى ذلك.. ومهما يكن من شيء فإن شعر المتنبي الذي قاله في مصر، أو الذي ألهمنه إياه مصر! مختار كله، بريء من السخف واللغو أو كاد<sup>(١)</sup>.

وإذا قلبت النظر في شعر المتنبي في كافور فإنك ستجد أن أبيات المديح فيها معدودة، وما بقي منها يدور: إما حول نفسه، وإما حول مقامه بحلب وحينه إلى سيف الدولة وأيامه الكريمة، وقد تخللت كل ذلك فلسفة حزينة متشائمة وإن لم يقصد إليها، وإنما أملتها ملابسات حياته، فأتت في موضعها من قصائده ملونة بإحساسه.

أما من قابليهم المتنبي في مصر؛ فمنهم جعفر بن الفرات وابن خنزابة وأبو شجاع فاتك الذي أهدى المتنبي هدايا ثمينة

(١) مع المتنبي (ص ٢٩٠).

فمدحه أبو الطيب بقصيدته التي مطلعها:

لا خيـل عندك تهـديها ولا مـال

فلـيسـعـدـ النـطـقـ إنـ لمـ تـسـعـدـ الـحـالـ

إلى أن يقول:

وقد أطـالـ ثـنـائـيـ طـولـ لـابـسـهـ

إنـ الثنـاءـ عـلـىـ التـبـالـ تـبـالـ

ولـعلـ هـذـهـ القـصـيـدةـ الـتـيـ تـحـمـلـ تـعـرـيـضاـ وـاضـحـاـ بـكـافـورـ قدـ

جـعـلـ أـبـاـ الطـيـبـ يـعـزـمـ عـلـىـ الرـحـيـلـ عـنـ مـصـرـ،ـ وـهـوـ يـتـحـينـ

الـفـرـصـ لـتـنـفـيـذـ ذـلـكـ.ـ وـبـعـدـ أـنـ اـنـقـطـعـ أـبـوـ الطـيـبـ عـنـ مـدـحـ كـافـورـ

سـتـةـ عـشـرـ شـهـراـ عـادـ إـلـىـ مـدـحـهـ لـيـشـعـرـهـ أـنـ بـاتـ قـرـيرـ العـيـنـ فـيـ

بـلـاطـهـ،ـ وـكـانـ ذـلـكـ سـنـةـ ٣٤٩ـهـ.

ولـمـ يـكـنـ لـأـبـيـ الطـيـبـ مـنـ سـلـوـيـ فـيـ الـدـيـارـ الـمـصـرـيـةـ سـوـىـ  
أـبـيـ شـجـاعـ فـاتـكـ الـذـيـ تـوـفـيـ فـيـ شـوـالـ مـنـ سـنـةـ ٣٥٠ـهـ،ـ فـأـحـسـ  
المـتـنـبـيـ عـنـ ذـلـكـ بـالـفـرـاغـ النـفـسـيـ الرـهـيـبـ،ـ فـأـخـذـ جـدـيـاـ يـتـدـبـرـ أـمـرـ  
الـرـحـيـلـ،ـ حـتـىـ تـمـ لـهـ مـاـأـرـادـ بـعـدـ وـفـاةـ فـاتـكـ بـشـهـرـيـنـ،ـ فـيـ السـنـةـ  
الـمـذـكـورـةـ نـفـسـهـاـ،ـ حـيـثـ هـرـبـ لـيـلـةـ عـيـدـ الـأـضـحـىـ بـعـدـ أـنـ أـرـسـلـ  
إـلـىـ أـبـيـ بـكـرـ الـفـرـغـانـيـ رـقـعـةـ طـلـبـ مـنـهـ أـنـ يـسـلـمـهـاـ إـلـىـ كـافـورـ عـشـيـةـ  
الـعـيـدـ عـنـ الـعـتـمـةـ قـائـلاـ:ـ فـقـدـ هـنـيـتـهـ بـهـاـ وـذـكـرـتـ عـذـريـ.ـ وـكـانـتـ  
تـلـكـ الرـقـعـةـ تـحـمـلـ قـصـيـدـتـهـ الـمـشـهـورـةـ فـيـ هـجـاءـ كـافـورـ،ـ

ومطلعها :

عيَدْ بِأَيَّةٍ حَالٍ عُذْتَ يَا عَيَدْ

بِمَا مَضِيَ أَمْ لَأْمَرٍ فِيكَ تَجْدِيدٌ

فَعَاشَ كَافُورٌ بِهَذَا الْهَجَاءِ حَيَاةً مَرَّةً لَمْ يَعْرُفْ مَعَهَا طَعْمٌ

الحلاوة.



المرحلة الرابعة من حياة المتنبي:  
في العراق وفارس (٣٥٠ - ٥٢٥هـ)

لم يكن مطلب المتنبي من كافور مالاً لأنه كان غنياً عن ذلك بفضل ما أغدقه عليه سيف الدولة أثناء وجوده بحلب، وإنما كان مطلب المحدد الذي نوه إليه بشعره: ضياعة أو ولادة بقوله:  
إذا لم تُنْطِ بِي ضياعة أو ولادة

فجودك يكسوني وشغلك يسلب  
ولكن مماطلة كافور له جعلته يعود إلى العراق وهو يجر  
أذىال الخيبة وانقطاع الأمل، فدخل مسقط رأسه الكوفة سنة  
٣٥١هـ، بعد عراك عنيف بينه وبين عبيده ومرافقيه من ناحية ،  
وبينه وبين نفسه من ناحية ثانية، وبينه وبين أبناء مجتمعه من  
ناحية ثالثة .

لقد حل في الكوفة بعد أن بَعُد عنها ستة عشر عاماً وهو  
غير مكترث بمن كانوا يوجهون إليه نظرات الحقد والشماتة .  
ولم يطل بقاء المتنبي في الكوفة، إذ غزاها أثناء وجوده  
فيها رجل خارجي من بني كلاب على رأس مجموعة من

المقاتلين الخوارج، فانبرى لهم دلير بن لشكرورز، فهربوا قبل وصوله، فمدحه المتنبي وهو في الميدان، مما جعل دلير يكرمه ويحمله على فرس بمركب من ذهب، وكان ذلك سنة ٣٥٣ هـ. ولم يلبث المتنبي أن غادر الكوفة إلى بغداد في تلك السنة.

ولما وصل المتنبي بغداد نزل على صديق له حميم هو علي بن حمزة البصري، وأقام عنده في داره مابقي في بغداد.

وفي بغداد، آنذاك، الخليفة العباسى ووزيره معز الدولة ابن بويه؛ وكان المهلبى، وزير معز الدولة، أدبياً وشاعراً اجتمع حوله مجموعة من الأدباء والشعراء منهم: القاضي التنوخى وأبو الفرج الأصفهانى والسرى الرفقاء وابن البقال، وكان المهلبى إضافة إلى ذلك جواداً ذا مروعة، معاوناً لأصحاب الحاجات.

ولكن المتنبي لم يمدح أحداً من هؤلاء الثلاثة وخصوصاً المهلبى الذي طلب أصحابه من المتنبي أن يمدحه، وقيل إن هذا الوزير قد أعد لأبى الطيب هدية عظيمة إن هو مدحه. ولكن إعراض المتنبي عن ذلك جعل المهلبى يفرق تلك الهدية على الشعراء في حضرته وقد ألبهم عليه، فأعادوا إلى الأذهان تشبيث المتنبي بنزعته العلوية، فراحوا يغمزون من نسبة ويتهمونه

بالشح والتقتير ويتماجنون عليه ويسمعونه كل ما من شأنه أن  
يغيبه وينغص عليه حياته، ولكن المتنبي لم يجدهم على  
أهاجيهم وإنما قال: إني قد فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم  
أرفع طبقة منهم في الشعراء:  
أرى المشاعرين غروا بذمي

ومن ذا يحمد الداء العضالا  
ومن يك ذا فم مُرّ مريض  
يجد مرأبه الماء الرُّلا  
وقولي:

أفي كل يوم تحت ضبني شوير  
ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطأولُ  
كل ذلك ولم يترجح المتنبي في الرد عليهم، وعاد إلى  
الكوفة، ثم مالبث أن عاد إلى بغداد بعد أن مات المهليي الذي  
أثار حوله بأنانيته ضجة عظيمة ليس فيها ما ينعش النفس ويحمل  
الحياة. كما عادت إلى نفس المتنبي نقمته على الأوضاع  
السياسية ومستغلي الحكم من الموالي والأعاجم.

وبينما هو كذلك إذ فوجيء بوفاة خولة أخت سيف الدولة؛  
فتحركت في نفسه لواقع الحنين وبرادر الذكرى، فأرسل في  
رثائها قصيدة طويلة غالب عليها تصوير لوعته التي نمت عن حب

دفين في نفسه. ويستنبط محمود شاكر من هذا الحب سبباً من أسباب وقوع الجفوة بين الشاعر وسيف الدولة<sup>(١)</sup>.

وبينما كان المتنبي في طريقة إلى فارس، وهو يصطحب معه راويته وصديقه علي بن حمزة البصري، استدعاه ابن العميد لزيارتة بأرجان. فلم يخيب المتنبي طلبه وأخبره أنه يقدم؛ مما جعل أبي الفضل بن العميد يخرج لاستقباله بموكب حاشد سنة ٤٣٥هـ، فمدحه المتنبي عرفاناً وتقديرأً بقصidته التي مطلعها:

بادِ هواك صبرت أم لم تصبرا  
وبيكاك إن لم يجر دمعك أو جرى

إلى أن يقول:

من مبلغ الأعراب أني بعدها  
جالست رسطاليس والإسكندرًا

وسمعت بطليموس دارس كتبه  
مُتملكاً مُبدياً مُتحضراً

ولقيت كل الفاضلين كأنما  
رد الإله نفو سهم والأعصرًا  
هذا، ولا ينبغي أن يغرب عن بالننا أن ابن العميد كان رجلاً

(١) «المتنبي» لمحمود شاكر (ص ٣٥٨).

## عالماً في السياسة والفلسفة والأدب.

ومن حاول الاتصال بالمتنبي وهو بحضوره ابن العميد، الصاحب بن عباد، ولم يكن قد استوزر بعد، وتمنى لو يمدحه، ولكن أبا الطيب رفض أن ينزل إلى مستوى الكتبة في بلاط ابن العميد، الأمر الذي جعل الصاحب ينصرف بكتاباته إلى تبيان مثالب المتنبي من خلال شعره.

ولقد وصل خبر المتنبي إلى شيراز، فأرسل إليه عضد الدولة طالباً زيارته، فتردد المتنبي أول الأمر، ولكن ابن العميد نصحه بأن يلبي تلك الدعوة لأن عضد الدولة رجل شهم وقد يصلك بأضعاف ماوصلتك به. فقال المتنبي: «إني ملقى من هؤلاء الملوك، أقصد الواحد بعد الواحد وأملكونهم شيئاً سيفنى بقاء النيران، ويعطونني عرضاً فانياً،ولي صحرات و اختيارات فيعوقوني عن مرادي، فأحتاج إلى مفارقتهم على أقبع الوجه» فكاتب ابن العميد عضد الدولة بهذا الحديث، فورد الجواب بأنه مملك مراده في المقام والظعن.

فذهب المتنبي إلى عضد الدولة مطمئن النفس مرتاح البال فأقام عنده فترة قصيرة وصفها بقوله: «ما خدمت عيناي قلبي كاليوم» ولقد قال المتنبي فيه ست قصائد وأرجوزة طردية

وقطعة، ولقد كانت إحدى القصائد تعزية بعمدة عضد الدولة، وليس فيها من التاريخ غير وصفه لهزيمة هشودان الكردي الشائر علىبني بويه في قصيدين.

ولعل طبع المتنبي قد خانه في مدح عضد الدولة كما خانه في مدح ابن العميد قبله، فهو ليس من قلبه وإحساسه، وشعره فيما بين الدلالة على أنه كان متكتلاً، الأمر الذي دفع عضد الدولة إلى القول: «المتنبي قال جيد شعره بالغرب».

ولقد كان لتأثير الطبيعة الفارسية أثر بِيُنْ على نفسية المتنبي إذ خلقت عنده جواً من الراحة والطمأنينة فتأثر بها ووصفها أجمل وصف، مع أن أبا الطيب لم يمكث في شيراز سوى مدة قصيرة خلال العام ٣٥٤هـ، ودقة وصف المتنبي لطبيعة فارس جعلت طه حسين يقول: «وما أعرف أن المتنبي أتقن وصف الطبيعة في طور من أطوار حياته كما أتقن في هذا الطور، فوصفه لشعب بوان رائع حقاً.. وفي أرجوزته اللامية التي وصف فيها الصيد.. ارتقى فيها الشاعر إلى أرفع ما تتيح له أن يبلغ من الإجاده الفنية الخالصة، وهي التي امتازت فيها نفس الشاعر بالطبيعة المادية امتزاجاً مدهشاً كأد ينسيه نفسه، كما كاد يصرفه عن عضد الدولة.. ومارأيت طبيعة الشاعر أخذت بحظ من

الخصب والغزاره، كمارأيتها في هذه الأرجوزه»<sup>(١)</sup>.

وعندما وجد عضد الدولة أن أبو الطيب يريد الذهاب إلى العراق لم يحل بينه وبين حريته، بل أغدق على الشاعر الكثير من الهدايا وأكمل له وعده بما التزم به، فودعه المتنبي وفي نيته أن يعود إليه بعد أن يرى في الكوفة أهله ومحبيه.

ولقد سار المتنبي مسافة خمسين فرسخاً حتى وصل إلى واسط، في شهر رمضان من سنة ٣٥٤، وكتب فيها آخر قصائده، وهي القصيدة الكافية التي ودع فيها عضد الدولة.

وعندما أصبح المتنبي على مقربة من دير العاقول الذي يبعد عن بغداد مسافة خمسة عشر فرسخاً هجم عليه فاتك الأسدي، خال ضبة بن يزيد العيني، الذي هجاه أبو الطيب هجاء مقدعاً، في قصيدة طويلة مطلعها:

ما أنصف القوم ضُبْتَه

وأمه الطَّرْطُبَه

وإنما قلت ما قلت

رحمَه لا محبَّه

(١) مع المتنبي (ص ٣٦٨).

ولقد تمكّن فاتك، مع مجموعة من بني عمه، من قتل المتنبي وغلامه وولده محسّد انتقاماً لشرف ابن أخته ضبة حيث ظفر بالبغال المحملة بالذهب والطيب والكتب الثمينة، وكل ما بذل المتنبي من أجله عمره وخصوصاً كتبه ودفاتره التي أحكمها قراءة وتصححاً.

وهناك رواية أخرى تقول إن عضد الدولة، عندما ابتعد عنه المتنبي، أرسل من يسأله عن عطاء سيف الدولة وعطاء عضد الدولة فأجاب أبو الطيب: إن سيف الدولة يعطي طبعاً وعضد الدولة يعطي تطبعاً. فغضب عضد الدولة فأرسل من أجهز عليه من قوم ضبة.

وقيل كذلك إن الخفراء قد طلبوا منه خمسين درهماً مقابل حمايته فرفض ذلك لشحه واعتداده، وحدث له ما حدث فرثاه المظفر بن علي الطبسي قائلاً:

لَا رَعَى اللَّهُ سَرْبَ هَذَا الزَّمَانِ  
إِذْ دَهَانَا بِمَثَلِ ذَاكَ اللِّسَانِ

ما رأى الناسُ ثانِي المتنبي  
أيُّ ثانٍ يُرَى لِكُرِ الزَّمَانِ  
ولكن من الثابت تاريخياً أن فاتكاً الأسدية ماسُمي فاتكاً

إلا لكتة ماسفكة من دماء الأبراء ، لأنه كان قاطع طرق ورجل عصابات يعيش على السلب والنهب . ولقد كان معروفاً أن المتنبي إذا أراد الخروج من بلد إلى بلد يحمل معه كل ما يملك فانتهز قوم ضبة - وعلى رأسهم فاتك - فرصة خروج المتنبي ومعه جنى عمره ، وانقضوا عليه طمعاً بما يحمل وهم يدعون ظاهرياً أنهم ينتقمون لشرفهم ، وفي الحقيقة لا يتغرون إلا مامعه . والله أعلم بحقيقة الحال .



## ديوان أبي الطيب وشعره

يعتمد الدرس عموماً، وخصوصاً دارس الأدب، على النصوص المسندة إلى أصحابها، إسناداً صحيحاً، حتى تكون النتائج في الأبحاث المدرورة والآثار المحققة والدراسات المقارنة نتائج تطمئن إليها العقول، وتأنس فيها الأذواق الحساسة، وتنفعل بها النفوس المرهفة الطيبة.

وديوان المتنبي هو المرجع الوحيد، بل هو المصدر الوحيد الذي نرکن إليه للتعرف على أحوال أبي الطيب إذ إن أبي الطيب نفسه قد أولاه اهتماماً خاصاً لم نره عند غيره من الشعراء الذين سبقوه أو عاصروه أو أتوا بعده. ولعل هذا الاهتمام من أبي الطيب بديوانه من ناحية واهتمام الناس، بهذا الديوان، من ناحية ثانية يجعلنا نقف منه موقفاً مطمئناً نستشف من خلاله تاريخ حياة المتنبي الذي اعتمد في ترتيبه التسلسل الزمني بحيث أتت معظم قصائده في مواضعها حسب تنامي حياة المتنبي منذ أن تفتحت شاعريته إلى أن فارق الحياة سنة ٩٣٥هـ/١٩٦٥م<sup>(١)</sup>.

(١) ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام. عبدالوهاب عزام. دار المعارف مصر.

ولقد قرأ أبو الطيب شعره على الناس وأملى على «من قرأه مقدمات قصائده بتواريخها، ومن المؤكد أن نسخاً كثيرة من الديوان قد صحيحت أو قرئت على أصول مقروءة على أبي الطيب نفسه، وأملى شرحاً لبعض أبياته أو لبعض كلمات له، وناقشه فيها من أخذوا عنه خاصة ابن جني»<sup>(١)</sup>. والذي يؤكّد ذلك مقالته أحد شرائح أبي الطيب وهو أبو الحسن الواحدي في آخر شرحه: «هذا آخر ما اشتمل عليه ديوان أبي الطيب الذي رتبه بنفسه وهو خمسة آلاف وأربعين مائة وأربع وتسعون قافية»<sup>(٢)</sup>. وكما جاء في مقدمة نسخة بدار الكتب المصرية رقم (٥٣٠ أدب) «وجميع ما فيه من تفسير معنى وشرح غريب واختلاف لغة فهو من إملائه عند القراءة عليه»، أي من إملاء المتنبي نفسه.

أما روایة دیوان المتنبی فقد وافانا بها رواة ثقات، من أمثال محمد بن العباس الخوارزمي، وأبي محمد بن القاسم الجرمي، وأبي الحسن الرخجي، وأبي بكر الشعراوی، وعدة من الرواة يطول ذكرهم.

ولا يزال دیوان أبي الطیب يحظی بكل عناية من الروایة

(١) أبو الطيب. عبد المجيد دياب. الهيئة المصرية العامة. ص ٣٤.

(٢) ذکری أبي الطیب، ص ٢٢.

والشرح والتحقيق. ولقد شرحه واهتم به في العصر الحديث كل من: ناصيف اليازجي، وعبدالوهاب عزام، والبرقوقي. ولقد بلغ عدد شراح هذا الديوان منذ أن تركه صاحبه إلى أيامنا هذه ما يزيد على خمسين شرحاً، إضافة إلى النقاد والدارسين الذين لن تتوقف مسيرة مسيرتهم عن الدرس والتنقيب والتمحيص.

وأما من حيث نسبة الديوان إلى أبي الطيب فأمر لا غبار عليه، خصوصاً وأن المتنبي، وكما تشير الروايات، قد اهتم بترتيب ديوانه بنفسه، وأن الناس كذلك من محترفي مهنة الأدب في تبع آثاره، قد رصدوا شعر الرجل لما كان يحمل هذا الشعر من معانٍ جديدة. وما يكاد هذا الشعر يخرج من فم صاحبه حتى يشيع ويصبح على كل شفة ولسان، ولا ريب بعد ذلك أن تجد الناس يتحلقون حول المتنبي، وهو في بيته عليّ بن حمزة الذي حفظ لنا ديوانه من الضياع، و«قد جذبت شخصيته الشباب قبل كل شيء، فرأى خصوصه في ذلك فرصة ليديعوا أن المستمعين إليه كانوا من غير المميزين، ولكنك ترى في الندوة عليّ بن حمزة (نفسه) الذي لم يكن حد لإعجابه بالشاعر وحماسه له»<sup>(١)</sup>. وكان بيته عليّ بن حمزة في ربيض حميد، في

(١) أبو الطيب، عبد المجيد دياب، ص ٣٦.

بغداد، ولا شك أن القارئ يعرف موقع بغداد في ذلك الوقت إذ إنها كانت حاضرة العلم والثقافة والأدب، فانقسم الناس فيها، وفي عموم الديار الإسلامية، فريقين: فريقاً يناصر الشاعر ويتحمس للدفاع عن شعره كل الحمامس. وفريقاً يعمل بكل ما أوتي على الكيد له وتبيين مثالبه ورصده كل مافي شعره من الهنات.

لقد كان ابن جني على رأس الفريق الأول إذ إنه بذل كل مافي وسعه كي يظهر أن أبا الطيب فوق الشبهات في شعره، وهو في هذا الميدان لا يبارى لأنـه كان على دراية تامة بكل ماقاله أبو الطيب، وذلك لأنـه كان قد استوْضَحَ من المتنبي نفسه عن كل ماغمض من ألفاظه ومعانيه لأنـ ابن جني كان من مجالسيه بشكل دائم.

وكان على رأس الفريق الثاني ، في الفترة الأخيرة من حياة المتنبي معز الدولة والصاحب بن عباد، والوزير المهليبي ، الذين حرضوا ضدـه شعراـءـ بغداد، لأنـ المتنبي ترفع عن مدحـهم ولـم يكتـرث بهـمـ.

ولـكنـهـ لمـ يـردـ عـلـىـ أولـئـكـ الشـعـراـءـ بـلـ اـكـتـفـىـ مـذـكـرـاـ فيـ الرـدـ عـلـيـهـمـ؛ـ بماـ قـالـهـ فـيـ الـذـينـ حـاـوـلـواـ الـكـيـدـ لـهـ وـهـ فـيـ بلاـطـ

سيف الدولة، قبل ذلك وفي مقدمة أولئك أبو فراس الحمداني  
وابن خالويه والخالديان وفيهم يقول:  
أفي كل يوم تحت ضبني شويعر

ضعيفٌ يقاويني قصير يطأول  
وقيل له: لماذا لا تهجو هؤلاء الشعراء في بغداد؟ فقال:  
لقد فرغت من الرد عليهم حين قلت فيمن هم أعلى منهم مرتبة:  
أرى المشاعرين غروا بذمي

ومن ذا يحمد الداء العضالا  
ومن يك ذافم مر مريض  
يجدمُراً به الماء الزلا  
ومن شعراء بغداد، الذين يزيد عددهم على سبعين  
شاعراً، ابن سكرة وابن لنكل وابن الحجاج.

لقد هيأت المعركة بين مؤيدي أبي الطيب ومناخييه  
القاضي الجرجاني المتوفى سنة ٤٩٢هـ فوضع كتابه المشهور  
«الوساطة بين المتنبي وخصومه» حيث وقف في هذه الوساطة  
موقعاً بين لنا فيه ما للمتنبي وما عليه<sup>(١)</sup>. وكذلك وضع لنا أبو

---

(١) أدبياً، أما المؤاخذات الشرعية فقد تم حل في تأويلها وزردها، كما  
سيأتي، إن شاء الله

الحسن الإفريقي المعروف «بالمتيم» في أواسط القرن الرابع، كتاباً سماه «الانتصار المتنبي عن فضل المتنبي»؛ كما وضع يوسف البديعى المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ كتابه المعروف «الصُّبْحُ المتنبي عن حيَّةِ المتنبي».

ولا يسعنا بعد الحديث عن ديوان المتنبي إلا أن نشير إلى كتابين جديرين بالذكر، ألا وهمما: الأول: «أبو الطيب المتنبي في آثار الدارسين» للدكتور عبدالله الجبورى. والثانى «رائد الدراسة عن المتنبي» لكوركيس وميخائيل عواد. ومن خلال هذين الكتابين نتأكد أن ديوان المتنبي قد لقى من العناية مالما يلقه أيُّ ديوان غيره من دواوين الشعراء العرب، من الجاهلية إلى أيامنا هذه، بحيث يزيد عدد الدراسات، التي أنشئت عن شعره ولا تزال، على الألفي مصدر ومرجع، باللغة العربية والأجنبية، «موزعة بين كتاب ورسالة ومقالة وُبُدِّأَ فردت له»<sup>(١)</sup>.

وأما شعر المتنبي، بين دفتير ديوانه، وعلى تعدد شراحته وطبعاته، فإنه يمثل شخصية أبي الطيب تمثيلاً دقيقاً منذ أن بدأت رحلته من الكوفة إلى الbadia و عبر الشام وحلب ومصر والعراق وفارس وال伊拉克 مجدداً، إلى أن قتل على مقربة من بغداد سنة

(١) العوامل السياسية في شعر المتنبي، عصام السيفي، بيروت، ص ١٠.

٩٦٥هـ / ١٣٥٤، كما رأينا عند استعراض سيرته.

أما من جهة مظهره الخارجي (أي المتنبي) فنستطيع أن نتصور أنه رجل نحيل يغلب عليه الضعف والهزال الأمر الذي يجعلك لا تراه لولا مخاطبته إياك لقوله:

كفى بجسمي ثُحُولاً أنسني رجلٌ

لولا مخاطبتي إياك لم ترني

وهو مع هذا الضعف والنحول، قد أضنى جسمه السقم

والتسهيد اللذان كانا يلازمانه، وفي ذلك يقول:

جمعتْ بين جسمِ أَحمدِ والسُّقْ

ـ وبيـنـ الجـفـونـ والـتـسـهـيدـ

وهو كذلك قد أحب كل النحلاة إكراماً لنحولة الجسم

الذي كان شغوفاً به وعاشقأله كقوله:

وإـنـيـ لـأـعـشـقـ مـنـ أـجـلـكـمـ

نـحـوليـ وـكـلـ اـمـرـىـءـ نـاحـلـ

ولقد اتصف المتنبي بفتوة وشياط ورونق ووسامة وشعرٍ

كث أسود توفر فوق جبينه وناسَ على أذنيه، وقد تصور أن هذه

الوفرة لا تحسن إلا على الأبطال وهم في ساحات الوغى:

لـاـ تـحـسـنـ الـوـفـرـةـ حـتـىـ تـُـرـىـ

منـشـورـةـ الضـفـريـنـ يـوـمـ القـتـالـ

كما أنه قد بكى تلك الوفرة وذاك الشباب بعد أن امتد به  
العمر وغزاه الشيب، ولم يعد لذاك الوجه رونقه وسماحته  
ووسامته كقوله:

ولقد بكيتُ على الشباب ولِمَّتني  
مُسوَدَّةً ولماء وجهي رونق  
وأبو الطيب يكره كثيراً التصنع والمتصنعين فهو لذلك  
ترك شعره على حاله<sup>(١)</sup> عندما خالط الشيب لِمَّته:  
ومن هوى كل مَنْ لَيَسْتُ مُمَوَّهَةً  
تركتُ لون مشببي غير مخضوب  
ومن هوى الصدق في قولي وفي عملي  
رغبتُ عن شَعْرٍ في الرأس مكذوب  
وقد يكون الشيب قد غزا شعر المتنبي مبكراً كما يظهر من  
خلال قوله:

راعتك رائعة البياض بمفرقني  
ولو أنها الأولى لراع الأشحَمُ

(١) مع أن السنة هي تغيير الشيب وصبغه بغير اللون الأسود، ولكن أنى  
للمتنبي أن يفقه هذا، فهو في شُغُلٍ عن السنة! نسأل الله العافية.

لو كان يمكنني سفرتُ عن الصبي  
فالشيب من قبل الأوان تلئُمُ  
ولكن هذا الشيب كان عزيزاً على قلب صاحبه لأنه إلهه  
وحبيبه، وقد رافقه مسيرة الحياة الكبرى في صراعه الطويل،  
 فهو لا يحب مفارقته والعود عنه إلى الصبا على حبه له.  
خُلِقتُ ألوفاً لو رجعتُ إلى الصبا  
لفارق شبابي موجع القلب باكيا



## **محتويات ديوان المتنبي**



### المديح في ديوان المتنبي:

أما محتويات ديوان أبي الطيب فجعلها في المديح، فهو (شاعر المديح) حقاً، أينما حلَّ وارتحل نثر مدائحه على أمراء عصره، وملوكهم، ووجهائهم.

ومديحه هذا صادر من قلب يطمح إلى هبات الممدوح وعطائه، قلَّ هذا العطاء أو كثُر، ومن المعلوم «أنَّ أباً الطيب كان يُبالغ في وصف العطاء والجود عند ممدوحيه لما كان في نفسه من طمع الحصول على أكبر قدر من هباتهم، وكلما ازداد طموحه لدى أحدهم، كلما أمعن ابتكاراً للمعنى في السخاء والبذل، وهذا يظهر في مدائحه لكافور الإخشيدى بمصر، فهو الذي لا يردُّ سائلاً:

كأنَّ كلَّ سؤالٍ في مسامعه      قميصُ يوسفَ في أجفانِ يعقوب  
إذا غزته أعاديه بمسأله      فقد غزته بجيشهِ غير مغلوب  
وكل قوله :

وقد يهب الجيش الذي جاء غازياً      لسائله الفرد الذي جاء عافياً<sup>(١)</sup>  
ويمتاز مدح المتنبي بأمرتين :

الأول: أنه يغلو غلواً فاحشاً في تعداد صفات الممدوح

(١) مقدمة ديوانه (ص ٢٣ - ٢٤) شرح مصطفى سيفي.

التي يجاوز بها حدود المعقول - كما سأ يأتي -. .

الثاني : أنه مدحُّ موحَّد ، وأعني بذلك أنه مناسبٌ لجميع الممدوحين ، وليس على المتنبي إلا أن يغير في أسماء ممدوحيه ! فممدوحه هو أكرم الناس ، وأشجعهم وأجودهم . .  
إلخ .

فأنت لا تُفرِّق بين ممدوح وآخر بأي صفة ، فالجميع قد جُبلا في نظر أبي الطيب على صفات واحدة .  
يقول أبو الطيب في مدح شجاع بن محمد الطائي  
المتنبي :

من فيك شامُ سوى شجاع يُقصد  
أعطي فقلتُ لجوده ما يُقتني  
وسطا فقلت لسيفه ما يُولد  
وتحيرت فيه الصفات لأنها  
ألفت طرائقه عليها تبعد  
أسدُ دم الأسد الهزير خضابه  
موتُ فريصُ الموت منه يرعد<sup>(١)</sup>  
فممدوحه هو أكرم الناس وأجودهم وأشجعهم  
وأكملهم . . . إلخ ! .

وهو يغلو في مدحه إلى درجة فاحشة يجاوز بها حدود المعقول فضلاً عن «المشروع» . فمن ذلك - مثلاً - قوله في مدح

(١) ديوانه (٩١ / ٩٢ - ٩٣) .

جعفر بن كيغلغ<sup>(١)</sup>:

من قال لست بخير الناس كلهم  
فجهلُه بك عند الناس عاذره  
أو شك أنك فردٌ في زمانهم  
بلا نظيرٍ ففي روحِي أخاطره  
يا من ألوذ به فيما أؤمله  
ومن أعود به مما أحاذره  
لا يجرِ الناس عظماً أنت كاسره  
ولا يهيضون عظماً أنت جابرٌ  
فهذا القول من أبي الطيب لا يحل ذكره إلا في الرب  
سبحانه وتعالى ، فهو وحده الذي يُلاذ ويُعاذ به - كما سيأتي في  
كلام العلماء عند تعليقهم على هذين البيتين الأخيرتين - ولكنه  
الغلو والشطط من شاعرٍ سحرَ قدراته ومواهبه وتفرده في سبيل  
 مدح مخلوقٍ مثله راجياً نفعه ، ونسيء أن يُشرف نفسه ويعزها  
ويرفع ذكرها بمدح مولاه وخالقه - سبحانه وتعالى - ولو فعل  
لكان له شأن آخر .

ومن أمثلة هذا المديح المفرط قوله في مدح شجاع بن

(١) ديوانه (٨٧/١).

محمد الطائي المنجبي<sup>(١)</sup>:

يُفْنِي الْكَلَامُ وَلَا يُحِيطُ بِفَضْلِكُمْ

أَيْحِيطُ مَا يُفْنِي بِمَا لَا يَنْفَدُ!

وقوله في مدح الوالي<sup>(٢)</sup>:

وَلَوْلَمْ أَخْفَ غَيْرَ أَعْدَائِهِ

عَلَيْهِ لِبَشَّرَتِهِ بِالْخَلْوَدِ

والأمثلة في تبيان هذا الغلو الذي توسع فيه أبي الطيب  
كثيرة جداً، فانظر نماذج منها في هذه المواقع من ديوانه:  
(١) ١٠٥ و ١١٠ و ١١١ و ٢١٢ و ٢٢٥ و ٢٢٩ و ٢٣٣ و ٢٤٨ و ٢٤٠ و ١٢٠ و ١٣٤ و ١٤٥ و ١٦٣ و ٢٤٠.  
(٢) ٩٤/١ و ٩٧/١.

وقد صدق ابن رشيق القير沃اني في كتابه «العمدة» عندما

قال:

«إِذَا صَرَتْ إِلَى أَبِي الطِّيبِ صَرَتْ إِلَى أَكْثَرِ النَّاسِ غَلُوًا،  
وَأَبْعَدُهُمْ فِيهِ هَمَّةً، حَتَّى لَوْ قَدِرَ مَا أَخْلَى مِنْهُ بَيْتًا وَاحِدًا، وَحَتَّى  
تَبَلُّغَ بِهِ الْحَالُ إِلَى مَا هُوَ عَنْهُ غَنِيًّا، وَلَهُ فِي غَيْرِهِ مَنْدُوحةً، كَقُولَهُ：  
يَتَرَشَّفُ مِنْ فَمِي رَشَفَاتٍ هُنْ فِيهِ أَحْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ»

(١) ديوانه (٩٤/١).

(٢) ديوانه (٩٧/١).

وإن كان له في هذا تأويل ومخرج بجعله التوحيد غاية  
المثل في الحلاوة بفيه . وقوله :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه      لما أتى الظلمات صرُّون شمومسا  
أو كان صادف رأس عازر سيفه      في يوم معركة لأعيا عيسى  
أو كان لجُّ البحر مثل يمينه      ما انشقَ حتى جاز فيه موسى  
فما دعاه إلى هذا وفي الكلام عوضٌ منه بلا تعلق عليه؟ فكيف إذا

قال :

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها      كأني بنى الإسكندر السد من عزمي  
فشبه نفسه بالخالق ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً  
كثيراً، ثم انحط إلى الإسكندر»<sup>(١)</sup> .

#### مدح المتنبي لنفسه :

ومديح المتنبي لا يقتصر على ممدوحاته فقط ، بل إنه  
يخصُّ نفسه بكثير منه يكاد ينسيك مدحه للآخرين ، فهو معترض  
بنفسه كثيراً ، لا تخلو قصيدة من قصائده دون أن يُعرِّج فيها على  
مدح نفسه وتزيينها بشتى الأوصاف المستحسنة .

ولا ينسى المتنبي - أيضاً - أن ينال شعره نصيبٍ من هذا  
الثناء المتفرق بين قصائده .

(١) العمدة (٢/٦٣).

يقول أبو الطيب في مدح نفسه:

أنا صخرةُ الوادي إذا ما زُوحمتْ  
وإذا نطقْتُ فإني الجوزاء  
وإذا خفيتُ على الغبي فعاذرْ  
أن لا تراني مقلةُ عمياء<sup>(١)</sup>  
ويقول:

إنِي أنا الذهب المعروف مخبره يزيد في السُّبُك للدينار دينارا<sup>(٢)</sup>  
ويقول مفتخرًا على جدته!

ولو لم تكوني بنت أكرم والدِ لكان أباك الضخم كونك لي أما<sup>(٣)</sup>  
أي : يكفيك فخرًا أنك جدتي !!

ويقول مادحًا شعره:

أثنى عليك ولو شاء لقلت لي  
لا تجسرُ الفُصَحاءُ تُنشدُ ههنا  
ما نال أهل الجاهلية كلهم  
وإذا أتاك مذمتى من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأنِي كاملٌ<sup>(٤)</sup>  
ويقول في مدح أبي العشائر الحسن بن علي العدوبي:

(١) ديوانه (١/١٧٠).

(٢) ديوانه (١/٢٠٦).

(٣) ديوانه (١/٢٢٠).

(٤) ديوانه (١/٢٢٥).

شاعر المجد خدنه شاعر اللف ظ كلانا رب المعالي الدّقاق<sup>(١)</sup>  
أي أنت شاعر المجد وأنا شاعر اللفظ، فكلانا متساويان!  
ويقول:

باحث والتَّجُلُ بعضُ من نجله  
من نفروه وأنفدوا حيله  
وسمهـري أروحُ مُعتقله  
مرتدياً خيره ومتعلـه  
أقدار والمرء حينما جعله  
وغصـةً لا تُسِيغُها السفلـه<sup>(٢)</sup>

ويقول في أبياته الشهيرة التي سارت في الآفاق:

بأنـي خير من تسعى به قدم  
وأسمعـت كلماتي من به صمم  
ويـسرـهـ الخلق جـراـهاـ ويـختـصـم<sup>(٣)</sup>

أنـتـ بـهاـ ماـيـنـ غـربـ وـمـشـرقـ  
أـرـاهـ غـبـاريـ ثـمـ قالـ لـهـ الـحـقـ

أـنـاـ اـبـنـ مـنـ بـعـضـهـ يـفـوقـ أـبـاـ الـ  
وـإـنـماـ يـذـكـرـ الـجـدـودـ لـهـمـ  
فـخـرـأـ لـعـضـ أـرـوحـ مـشـتمـلـهـ  
وـلـيفـخـرـ الـفـخـرـ إـذـ غـدوـتـ بـهـ  
أـنـاـ الـذـيـ يـبـيـنـ إـلـهـ بـهـ الـ  
جوـهـرـةـ تـفـرـحـ الشـرـافـ بـهـاـ

سيـعـلـمـ الـجـمـعـ مـنـ ضـمـ مجلـسـناـ  
أـنـاـ الـذـيـ نـظـرـ الـأـعـمـىـ إـلـىـ أـدـبـيـ  
أـنـامـ مـلـءـ جـفـونـيـ عنـ شـوـارـدـهـاـ  
وـيـقـولـ:

بلغـتـ بـسـيفـ الدـوـلـةـ الثـورـ رـئـبـةـ  
إـذـ شـاءـ أـنـ يـلـهـوـ بـلـحـيـةـ أـحـمـقـ

(١) ديوانه (٢٧٩/١).

(٢) ديوانه (٢٨٧/١).

(٣) ديوانه (٨٢/٢ - ٨٣).

وما كمَدُ الْحُسَادُ شَيْءٌ قَصَدَتْهُ  
ولكنه من يزْحِمُ الْبَحْرَ يَغْرِقُ<sup>(١)</sup>  
ويقول مخاطباً سيف الدولة:

وَعِنْدِي لَكَ الشُّرُدُ السَّائِرَا  
ت لا يختصمن من الأرض دارا  
قَوَافِ إِذَا سِرْنَ عن مِقْوَلِي  
وَثَبَنَ الْجِبَالُ وَخَضَنَ الْبَحَارَا  
وَلِي فِيكَ مَالِمَ يَقُلُّ قَائِلُ<sup>(٢)</sup>  
وَيَقُولُ :

إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُشَدَّا  
وَغَنِيَ بِهِ مَنْ لَا يَغْنِي مَغْرِداً  
بِشِعْرِي أَتَاكَ الْمَادِحُونَ مَرَدَداً  
أَنَا الطَّائِرُ الْمُحْكَى وَالآخِرُ الصَّدِى  
وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنُعْمَكَ عَسْجَداً<sup>(٣)</sup>  
وَيَقُولُ مَادِحًا نَفْسَهُ مَعَ سِيفَ الدُّولَةِ :

لَا تَطْلُبِنِي كَرِيمًا بَعْدَ رَؤْيَتِهِ  
إِنَّ الْكَرَامَ بِأَسْخَاهِمْ يَدًا خُتِّمُوا  
وَلَا تَبَالْ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ  
قَدْ أَفْسَدَ الْقَوْلُ حَتَّى أَحْمَدَ الصَّمْمُ<sup>(٤)</sup>  
أَيْ لَا تَسْتَمِعُ لِغَيْرِ شَاعِرِ سِيفِ الدُّولَةِ، الَّذِي هُوَ الْمُتَنَبِّي

(١) ديوانه (٢/١٠٠).

(٢) ديوانه (٢/١١٩).

(٣) ديوانه (٢/١٢٦).

(٤) ديوانه (٢/١٨٣).

نفسه! أما غيره فما أحوجنا عند سماع شعرهم إلى أن نكون  
صُمّاً!

ويقول في بيت يوضح مدى تعاظم المتنبي الذي يظن  
نفسه مَلِكًا في صورة شاعر:

وفؤادي من الملوك وإن كا ن لساني يُرى من الشعراء<sup>(١)</sup>  
ويقول:

ومن بالعواصم أني الفتى	لتعلم مصر ومن بالعراق
وأني وفيتُ وأني أبيتُ	وأني عتوتُ على من عتا
وما كل من قال قولًا وفي	ولا كل من سيم خسفاً أبي <sup>(٢)</sup>

### أبيات الحكمة في ديوان المتنبي:

كما أنها أطلقتنا على المتنبي (شاعر المدح) نظراً للكثرة  
إنتاجه في هذا الباب فهو شاعر (الحكمة) أيضاً، لأنه من الشعراء  
الذين اخترزوا تجاربهم في الحياة وتقلباتها ثم حولوها إلى أبيات  
جميلة مختصرة تؤدي معانٍ كثيرة يُطلق عليها (أبيات الحكمة)،  
وهي كثيرة جداً في ديوان أبي الطيب، إلى حد أن بعض المؤلفين

(١) ديوانه (٢٠٩/٢).

(٢) ديوانه (٢٧٤/٢).

قد خصها بتأليف مستقل<sup>(١)</sup>.  
وأنا ذاكر لك أشهرها مما حفظه الناس، وترنموا بإنشاده  
في المحافل منذ عصر المتنبي إلى يومنا الحاضر.  
فمن ذلك قوله:

الشمسُ من حساده والنصرُ من  
قرنائه والسيفُ من أسمائهِ  
أين ثلاثةً من ثلاتِ خلالهِ  
من حُسنه وإبائه ومضائهِ  
مضت الدهورُ وما أتين بمثلهِ  
ولقد أتى فعجزن عن نظرائهِ  
وقوله:

فُحِبَّ الجبار النفس أوردهُ التقى  
وحبُّ الشجاع النفس أوردهُ الحربا  
ويختلفُ الرزقان والفعلُ واحدُ  
إلى أن يُرى إحسانُ هذا لذا ذنبًا

(١) منهم: إبراهيم الألمعي في كتابه «من طيبات المتنبي» وعنده نقلت الأمثلة. ومنهم: علي رضا في كتابه «المتنبي: حكمه وأمثاله» وغيرهما.

وقوله:

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر  
فرزعت فيه بآمالي إلى الكذب  
حتى إذا لم يدع لي صدقهُ أملأ  
شرقت بالدموع حتى كاد يشرق بي  
فليت طالعة الشمسين غائبة  
وليلت غائبة الشمسين لم تغرب  
وليلت عين التي آب النهارُ بها  
فداء عين التي زالت ولم تؤب

وقوله:

حسن الحضارة مجلوبٌ بتطرية  
وفي البداوة حسنٌ غيرٌ مجلوبٌ

وقوله:

وأظلمُ أهلِ الظلمِ من بات حاسداً  
لمن بات في نعماهه يتقلبُ

وقوله:

أعز مكانٍ في الدُّني سرجٌ سابقٌ  
وخيرٌ جليسٌ في الزمانِ كتابٌ

وقوله:

وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا  
ودون الذي أملأْتُ منك حجابُ  
وفي النفس حاجاتُ وفيك فطانةُ  
سُكُوتِي بيانٌ عندها وخطابُ  
إذا نلتُ مثلك الود فالمالُ هيئُ  
وكل الذي فوق الترابِ ترابُ

وقوله:

وما قاتل الأحرار كالعفو عنهمُ  
ومن لك بالحر الذي يحفظُ اليدا  
إذا أنت أكرمتَ الكريم ملكته  
وإن أنت أكرمتَ اللئيم تمرادا  
ووضعُ الندى في موضع السيف بالعلا  
مُضر كوضع السيف في موضع الندى

وقوله:

أذمُ إلى هذا الزمانِ أهيلهُ  
فأعلمُهمْ فدمُ وأحزُهمْ وغدُ  
وأكرمُهمْ كلبٌ وأبصرُهمْ عَمُ  
وأشهدُهمْ فهدٌ وأشجعهمْ قردٌ

ومن نك الدُّنيا على الحر أن يرى  
عدوا له مامن صداقته بُدُّ

وقوله:

أوَّل من الأيام مالا تؤْدُه  
وأشكوا إليها بيننا وهي جُنْدُه  
يُساعدن حِبَا يجتمعن ووصلهُ  
فكيف بحب يجتمعن وصلةُ  
أبى خُلُقُ الدُّنيا حبيباً تُديمُهُ  
فما طلبي منها حبيباً ترُدُّهُ  
وأسرع مفعول فعلت تغييراً  
تكلُّفُ شيءٍ في طباعك ضِدُّهُ  
وأتعبُ خلق الله من زاد همَّهُ  
وقصر عما تشتهي النفس وجُنْدُهُ  
فلا ينحلل في المجد مالك كُلُّهُ  
فينحل مجدُّ كان بالمال عقدُهُ  
وَدَبرُ تدبير الذي المجد كفُّهُ  
إذا حارب الأعداء والمال زندُهُ  
فلا مجد في الدنيا لمن قل مالهُ  
ولا مال في الدنيا لمن قل مجدُهُ

وفي الناس من يرضى بمبسورة عشه  
ومركبُه رجله والثوبُ جلدُه

وقوله:

عيَدْ بِأَيَّةٍ حَالٍ عُدْتْ يَا عَيَدْ  
بِمَا مَضَى أَمْ بِأَمْرٍ فِيكَ تَجْدِيدْ  
أَمَا الْأَحْبَةُ فَالْبِيَدَاءُ دُونَهُمْ  
فَلَيْتَ دُونَكَ يَدَا دُونَهَا يَدِ  
لَمْ يَتَرَكِ الدَّهْرُ مِنْ قَلْبِي وَلَا كَبْدِي  
شَيْئاً تَيْمُمُهُ عَيْنٌ وَلَا جَيْدٌ  
يَا سَاقِيَ أَخْمَرٌ فِي كَوْسَكِمَا  
أَمْ فِي كَوْسَكِمَا هَمْ وَتَسْهِيدْ  
لَا تَشْتَرِ العَبْدُ إِلَّا وَالْعَصَامَعَهُ  
إِنَّ الْعَيْدَ لِأَنْجَاسِ مَنَاكِيدْ  
مَا كَنْتُ أَحْسِنِي أَحْيَا إِلَى زَمِنِ  
يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلْبٌ وَهُوَ مُحْمُودٌ

وقوله:

تَفَضَّلتُ الْأَيَّامُ بِالْجَمْعِ بَيْنَا  
فَلَمَا حَمَدْنَا لَمْ تُدْمَنَا عَلَى الْحَمْدِ

وقد كنتُ أدركتُ المنى غير أنني  
يُعيّرُني أهلي بإدراكيها وحدي  
فجذلني بقلب إن رحلتُ فإنني  
مُخْلِفُ قلبي عند من فضلُهُ عندي  
ولو فارقتُ نفسي إليك حياتها  
لقلتُ أصابتَ غير مذمومة العهدِ  
وقوله:

تمرسُ بالآفات حتى تركتها  
تقولُ أمات الموتُ أم ذعر الذعرُ  
ولا تحسبن المجد زفًّا وقينة  
فما المجد إلا السيف والفتكة البكرُ  
وترکك في الدنيا دويًا كأنما  
تداول سمع المرء أنملُهُ العشرُ

وقوله:  
ومن ينفق الساعات في جمع مالهِ  
مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ  
وقوله:

بادِ هواك صبرت أم لم تصبرا  
وبُكاك إن لم يجر دمعُك أو جرى

كَمْ غَرْ صَبْرُكَ وَابْتِسَامُكَ صَاحِبَاً  
لَمَا رَأَكَ وَفِي الْحَشَاءِ مَا لَا يُرَى  
وَقُولَهُ:

قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاةُ مِنِ الْبُكَّا  
فَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَّا أَنْ يَمْنَعَ  
حَتَّىٰ كَانَ لِكُلِّ عَظَمٍ رَّنَةٌ  
فِي جَلْدِهِ وَلِكُلِّ عَرْقٍ مَدْمُعاً

وَقُولَهُ:

تَصْفُو الْحَيَاةُ لِجَاهِلٍ أَوْ غَافِلٍ  
عَمَّا مَضَىٰ فِيهَا وَمَا يُسْوَقُ  
وَلِمَنْ يُغَالِطُ فِي الْحَقَائِقِ نَفْسَهُ  
وَيُسُومُهَا طَلْبُ الْمَحَالِ فَتَطْمَعُ  
أَيْنَ الَّذِي الْهَرْمَانُ مِنْ بَثِيَانِهِ  
مَا قَوْمُهُ مَا يَوْمُهُ مَا الْمَصْرُعُ  
تَتَخَلَّفُ الْآثَارُ عَنْ أَصْحَابِهَا  
حِينَاً وَيُدْرِكُهَا الْفَنَاءُ فَتَبْقِعُ

وَقُولَهُ:

وَمَا الْحَسْنُ فِي وَجْهِ الْفَتَىٰ شَرْفًا لَهُ  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي فَعْلَهِ وَالخَلَائِقِ

وَمَا بِلُدُّ الْإِنْسَانِ غَيْرُ الْمُوَافِقِ  
وَلَا أَهْلُهُ الْأَدْنُونِ غَيْرُ الْأَصَادِقِ  
وَجَائِزَةٌ دُعُوَيِّ الْمُحِبَّةِ وَالْهُوَى  
وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفِي كَلَامُ الْمُنَافِقِ  
وَمَا يُوجِعُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفِ حَارِمٍ  
كَمَا يُوجِعُ الْحَرْمَانُ مِنْ كَفِ رَازِقٍ

وقوله:

أَرْوَحُ وَقْدَ خَتَمْتُ عَلَى فَوَادِي  
بِحَبْكَ أَنْ يَحْلَّ بِهِ سَوَاكًا  
وَقْدَ حَمَلْتَنِي شَكْرًا طَوِيلًا  
ثَقِيلًا لَا أُطِيقُ بِهِ حِراكًا  
أَحْذَرُ أَنْ يُشْقَى عَلَى الْمَطَايَا  
فَلَا تَمْشِي بِنَا إِلَّا سَوَاكًا  
لَعْلَ اللهُ يَجْعَلُهُ رَحِيلًا  
يُعِينُ عَلَى الإِقَامَةِ فِي ذِراكًا  
وَلَوْ أَنِّي أَسْطَعْتُ خَفَضْتُ طَرْفِي  
فَلَمْ أَبْصِرْ بِهِ حَتَّى أَرَاكًا  
وَكَيْفَ الصَّبْرُ عَنْكَ وَقْدَ كَفَانِي  
نَدَاكَ الْمُسْتَفِضُ وَمَا كَفَاكَا

أترُكني وعيْنُ الشّمْسِ نعلَى  
فتقطع مشيتي فيها الشراكا  
أرى أسفِي وما سرنا شديداً  
فكيف إذا غدا السيرُ ابتراكا

وقوله:

إذا اعتاد الفتى خوض المنايا  
فأهون ما يمرُ به الورحولُ  
ومن أمرَ الحصون فما عصتهُ  
أطاعتهُ الحزنةُ والشَّهولُ  
وما للسيف إلا القطع فعلُ  
وأنت القاطعُ البُرُّ الوَصْولُ

وقوله:

ومن لم يعشق الدنيا قدِيمَاً؟  
ولكن لا سبيلاً إلى الوصالِ  
نصيُّك في حياتك من حبيبٍ  
نصيُّك في منامك من خيالٍ  
رماني الدهرُ بالأرzae حتى  
فؤادي في غشاءِ من نبالٍ

فصرت إذا أصابتني سهام  
تكسرت النصال على النصال  
وهان فما أبالي بالرزايا  
لأنني ما انتفعت بآن أبالي

وقوله:

وليس يصح في الأفهام شيء  
إذا احتاج النهار إلى دليل

وقوله:

ومن يك ذا فم مُر مريض  
يجد مُرًا به الماء الزلا

وقوله:

لعل عتبك محمود عواقبه  
فربما صحت الأجسام بالعلل

وقوله:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفهُ  
فمن المطالب والقتيل القاتل؟  
وإذا أتاك مذمتى من ناقصٍ  
 فهي الشهادة لي بآني كاملٌ

وقوله:

تُرِيدِين لُقْيَانَ الْمَعَالِي رَخِيْصَةً  
وَلَا بُدُّ دُونَ الشَّهَدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ

وقوله:

وَإِذَا كَانَتِ النَّفَوسُ كِبَارًا  
تَعْبَثُ فِي مُرَادِهَا أَجْسَامٌ

وقوله:

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي  
فِيكَ الْخَصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ  
أُعْيَذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً

أَنْ تَحْسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمٌ  
. وَمَا انتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ

إِذَا اسْتَوَتْ عَنْهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلْمُ  
إِذَا نَظَرَتْ نُيُوبُ الْلَّيْثِ بِسَارِزَةً

فَلَا تَظَنْ أَنَّ الْلَّيْثَ مُبْتَسِمٌ

وقوله:

يَا مَنْ يَعْرِزُ عَلَيْنَا أَنْ تُقَارِقَهُمْ  
وَجَدَانُنَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدُكُمْ عَدَمٌ

إِنْ كَانَ سَرَّكُمْ مَا قَالَ حَاسِدُنَا  
فَمَا لِجُرْحٍ إِذَا أَرْضَاكُمُ الْمُ  
كَمْ تَطْلَبُونَ لَنَا عِيَّا فَيُعْجِزُكُمْ  
وَيَكْرِهُ اللَّهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرْمُ

وقوله:

إِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ وَقَدْ قَدَرُوا  
أَنْ لَا تَفَارِقُهُمْ فَالرَّاحِلُونَ هُمْ  
شَرُّ الْبَلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقٌ بِهِ  
وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمُ

وقوله:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي العِزَائِمُ  
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكَرَامِ الْمَكَارِمُ  
وَتَعْظِمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صَغَارُهَا  
وَتَصْغِرُ فِي عَيْنِ الْعَظِيمِ الْعَظَائِمُ

وقوله:

وَقَفَتْ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكُّ لَوَاقِفٍ  
كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ  
تَمَرُّ بِكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيمَةً  
وَوَجْهُكَ وَضَاحٌ وَثَغْرُكَ بِاسْمٍ

وقوله:

وَمَا تَنْفِعُ الْخَيْلُ الْكَرَامُ وَلَا الْقَنَا  
إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْكَرَامِ كَرَامٌ

وقوله:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرْفٍ مَرْوُومٍ  
فَلَا تَقْنِعْ بِمَا دُونَ النَّجُومِ

فَطَعْمَ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ  
كَطَعْمَ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ

يَرِي الْجِبَانَ أَنَّ الْعَجْزَ عَقْلٌ  
وَتَلَكَ خَدِيعَةُ الطَّبَعِ اللَّئِيمِ

وَكُلَّ شَجَاعَةٍ فِي الْمَرْءِ تُغْنِي  
وَلَا مُثْلٌ لِلشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ  
وَكُمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا  
وَأَفْتَهُ مِنْ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

وقوله:

لَا يَخْدُعُنَّكَ مِنْ عَدُوٍ دَمْعُهُ  
وَارْحَمْ شَبَابَكَ مِنْ عَدُوٍ تُرْحَمُ  
لَا يَسْلُمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذِى  
حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

والظلمُ من شيم التفوس فإن تجد  
 ذا عِفَةً فلعلَّةً لا يظلمُ  
 ومن البلية عذلُ من لا يرعوي  
 عن غيْرِه وخطابُ من لا يفهمُ  
 ومن العداوة ما ينالك نفعُه  
 ومن الصدقة ما يضرُ ويؤلمُ

وقوله:

رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى  
 هوى كاسرٌ كفى وقوسي وأسهمي  
 إذا ساء فعلُ المرء ساءت ظنوئهُ  
 وصدق ما يعتاده من توهمٍ  
 وعادى مُحبيه بقول عُداتهِ  
 وأصبح في ليلٍ من الشك مُظلِمٍ  
 أصادق نفس المرء من قبل جسمهِ  
 وأعرفُها في فعلهِ والتكلُّمِ  
 وأحلُم عن خلي وأعلم أنهُ  
 متى أجزه حلماً على الجهل يندمِ  
 وما كُلُّ هاو للجميل بفاعلٍ  
 ولا كُلُّ فعالٍ له بمتّمٍ

لِمَنْ تَطَلُّبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَرُدْ بِهَا  
سُرُورَ مُحَبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ

وقوله:

فِلْمَا صَارَ وَدُّ النَّاسِ خَبَأَ  
جَزِيتُ عَلَى ابْتِسَامٍ بِابْتِسَامٍ  
وَصَرَتُ أَشْكُ فِيمَنْ أَصْطَفَيْهِ  
لَعْمَيْ أَنَّهُ بَعْضُ الْأَنَامِ  
يُحَبُّ الْعَاقِلُونَ عَلَى التَّصَافِي  
وَحُبُّ الْجَاهِلِينَ عَلَى الْوَسَامِ  
وَآنْفُ مَنْ أَخْيَ لَأْبِي وَأُمِّي  
إِذَا مَا لَمْ أَجْدُهُ مِنَ الْكَرَامِ  
وَمَنْ يَجِدُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَعَالِي  
فَلَا يَذَرُ الْمَطْيِ بِلَا سَنَامِ  
وَلَمْ أَرْ فِي عِيوبِ النَّاسِ شَيْئًا  
كَنْفُصُ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ  
وَقَوْلُهُ:  
وَزَائِرَتِي كَأَنْ بِهَا حِيَاءً  
فَلَيْسَ تَزُورُ إِلَّا فِي الظَّلَامِ

بذللت لها المطارف والحسايا  
فاعافتها وباتت في عظامي  
يضيق الجلدُ عن نفسي وعنها  
فتتوسعه بأنواع السّقامِ  
إذا ما فارقني غسلتني  
كأَنَّا عاكفان على حرامِ  
كأنَّ الصبح يطرد ها فتجري  
مدامعها بأربعة سجامِ  
أراقبُ وقتها من غير شوقِ  
مراقبة المشوق المستهامِ  
ويصدقُ وعدُها والصدقُ شرُّ  
إذا ألقاك في الْكُرَبِ العظامِ  
أبنتَ الدهر عندي كلُّ بنتٍ  
فكيف وصلتِ أنتِ من الزِّحامِ  
جرحتِ مجرحًا لم يبق فيهِ  
مكانٌ للسُّيوف ولا السهامِ  
وقوله:  
وقتُ يضيقُ وعمرُ ليت مُدَّتهُ  
في غير أمتهِ من سالفِ الأَمْمِ

أئِي الزَّمَانَ بُنْوَهُ فِي شَبَيْتِهِ  
فَسَرَّهُمْ وَأَتَيْنَاهُ عَلَى الْهَرَمِ

وقوله:

وَمَا الْخَوْفُ إِلَّا مَا تَخْوِفُهُ الْفَتَى  
وَلَا الْأَمْنُ إِلَّا مَا رَأَاهُ الْفَتَى أَمْنًا

وقوله:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجَعَانِ  
هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمُحَلُّ الثَّانِي

فَإِذَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ  
بَلَغَتْ مِنَ الْعُلَيَاءِ كُلَّ مَكَانٍ  
وَلَرِبِّما طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانُهُ

بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ  
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكَانَ أَدْنَى ضِيَافَمِ  
أَدْنَى إِلَى شَرْفِ مِنَ الْإِنْسَانِ

وقوله:

لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرُ مُكْتَرِثٍ  
مَادَمْ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَكَ الْبَدْنُ  
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرءُ يَدْرُكُهُ  
تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفُنُ

وقوله:

صاحب الناسُ قبلنا ذا الزمان  
 وعنهم من شأنه ما عنانا  
 وتولوا بِغُصَّةٍ كُلُّهُمْ منهُ  
 وإن سَرَّ بعضهم أحياناً  
 ربما تُحسنُ الصنيع لياليه  
 ولكن تُكدرُ الإحسان  
 وكأنما لم يرض فينا برب الدهر  
 حتى أعنائه من أعنانا  
 كلما أنبتَ الزمانُ قناء  
 ركبَ المرء في القناة سناناً  
 ومرادُ النفوس أصغرُ من أن  
 نتعادى فيه وأن نتفانى  
 غير أن الفتى يُلاقى المنايا  
 كالحالات ولا يُلاقى الهوان  
 وإذا لم يكن من الموت بُدُّ  
 فمن العجز أن تكون جباناً  
 كل مالم يكن من الصعب في  
 الأنفس سهلٌ فيها إذا هو كانا

وقوله:

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا  
وحسبُ المنايا أن يكن أمانا  
تمنيتها لاما تمنيت أن ترى  
صديقاً فأعيا أو عدوا مداعيا  
إذا كنت ترضي أن تعيش بذلةٍ  
فلا تستعدَنَ الحسام اليماني

وقوله:

إذا الجود لم يُرزق خلاصاً من الأذى  
فلا الحمدُ مكسوباً ولا المالُ باقيا  
وللنفس أخلاقٌ تدلُّ على الفتى  
أكان سخاءً ما أتى أم تساخيا

أبيات العزة في ديوان المتنبي:

لأبي الطيب أبيات جميلة تصور مدى عزته وسموه في  
طلب المعالي ، والسعى لإدراكها .  
فمن هذه الأبيات التي تصور عزة وسمو المتنبي قوله :

تُحَقِّرْ عَنِي هَمْتِي كُلَّ مَطْلَبٍ  
وَيَقْصُرُ فِي عَيْنِي الْمَدِي الْمَتَطاوِلُ<sup>(١)</sup>

وقوله:

وَمَن يَبْغِي مَا أَبْغَى مِنَ الْمَجْدِ وَالْعَلِيِّ  
تَسَاوا الْمَحَابِي عَنْهُ وَالْمُقَاتَلُ<sup>(٢)</sup>

وقوله:

كُنْ أَيْهَا السُّجْنُ كَيْفَ شَتَّتْ فَقَدَ  
لَوْ كَانَ سُكُنَاهِي فِيهِكَ مُنْقَصَّةً  
وَلَمْ يَكُنْ الدَّرْ سَاكِنُ الصِّدْفِ<sup>(٣)</sup>

وقوله:

وَمَا سَكَنَيْ سُوِيْ قَتْلِ الْأَعْادِيِّ  
فَهَلْ مِنْ زُورَةٍ تُشْفِي الْقُلُوبَا<sup>(٤)</sup>  
وَقَوْلُهُ فِي تَرْكِهِ لِلْخَمْرِ طَلْبًا لِلْمَعَالِيِّ:

مَا أَنَا وَالْخَمْرُ وَبِطِيخَةً  
سُودَاءِ فِي قَشْرِيْ مِنَ الْخِيزْرَانِ  
تُوْطِينِي النَّفْسُ لِيَوْمِ الْطِعَانِ<sup>(٥)</sup>  
يُشْغِلُنِي عَنْهَا وَعَنْ غَيْرِهَا

وقوله:

وَحِيدٌ مِنَ الْخَلَانِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ  
إِذَا عُظِّمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمَسَاعِدُ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوانه (١/٧٨).

(٢) ديوانه (١/٨٣).

(٣) ديوانه (١/٩٦).

(٤) ديوانه (١/٢٣٨).

(٥) ديوانه (١/٢٨١).

(٦) ديوانه (٢/٧٠).

وقوله:

وفي الناس من يرضي بمبسورة عيشة  
ومركوبه رجاله والثوب جلده  
ولكنَّ قلباً بين جنبيَّ مالله  
مدى ينتهي بي في مراد أحُدُه<sup>(١)</sup>  
وقوله:

فإن أُمْرِضَ فَمَا حُمَّ اعْتَزَّ مِنْيَ  
وَإِنْ أَسْلَمَ فَمَا أَبْقَى وَلَكِنْ  
سَلَمْتُ مِنِ الْحِمَامِ إِلَى الْحِمَامِ<sup>(٢)</sup>  
وقوله:

يقولون لي مائنت في كل بلدةٌ  
وما بتغيِّي؟ ما بتغيِّي جَلَّ أنْ يُسمِّي<sup>(٣)</sup>

### أبيات الذل في ديوان المتنبي:

ولكن؛ برغم هذه العزة التي يتباها في أبو الطيب بها في  
شعره، إلا أننا نفاجأ بأنه ينزل إلى دركاتٍ من الذل والاستجداء  
في سبيل تحقيق أهوائه التي يطمح إليها، وذلك عندما تعينه  
الحِيَلَ فلا يستجيب لتوسلاته أحد.

فاسمع إلى أقواله (الذليلة):

من ذلك قوله مخاطباً بدر بن عمار:

(١) ديوانه (٢١٦/٢).

(٢) ديوانه (٢٤٩/٢).

(٣) ديوانه (٢٢٠/١).

فاغفر فدى لك واحببني من بعدها لتخصني بعطية منها أنا<sup>(١)</sup>  
وقوله لكافور بعد أن يئس من مواعيده:

أبا المسك هل في الكأس فضل أنا الله فإني أغني منذ حين وتشرب وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلب إذا لم تنط بي ضيعة أو ولاية فجودك يكسوني وشغلك يسلب<sup>(٢)</sup>  
وبهذا فإنه يصدق فيه ما قاله أحد الشعراء في هجائه:

أيُّ فضل لشاعِرٍ يطلب الف ضل من الناس بكرةً وعشياً عاش حيناً يبيع في الكوفة الماء وحينما يبيع ماء المحيَا

### أبيات التشكي في ديوان المتنبي:

تكثر أبيات التشكي واللوعة في شعر المتنبي نتيجة لتعثر حظه في تحقيق ما يصبو إليه من الولايات، ومن الزعامة والمجد الذي قطع فيه أيامه وليلاته، فانعكس هذا الفشل المتواتي إلى أسى وحسرة وذم لزمانه ولأهل زمانه الذين تحببوا أمله، ووقفوا أمام طموحاته، فمن ذلك قوله:

كأنَّ الجو قاسى ما أقصاى فصار سواده فيه شحوباً<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه (١٩٨/١).

(٢) ديوانه (٢٣١/٢).

(٣) ديوانه (٢٣٨/١).

وقوله:

أذم إلى هذا الزمان أهيله فاعلمهم قدم وأحرزهم وعد  
وأكرمهم كلب وأبصرهم عم وأسدهم فهد وأشجعهم قرد<sup>(١)</sup>  
وقوله في اعتياده فراق الأوطان:

أما الفراق فإنه ما أَعْهَد هو توامي لو أن بِنَا يُولِد<sup>(٢)</sup>  
وقوله:

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روى رمحه غير راحم<sup>(٣)</sup>  
وقوله في ذم الدهر:

إذا ماتأملت الزمان وصَرْفَه وما الدهر أهل أن تؤمل عنده  
وقوله في ذم الناس:

إذا ما الناس جربهم ليتب فلم أر ودهم إلا خداعا  
وقوله في ذم الزمان:

(١) ديوانه (٢٤٢/١).

(٢) ديوانه (٢٤٥/١).

(٣) ديوانه (٢٥٥/١).

(٤) ديوانه (٣٠/٢).

(٥) ديوانه (٤٣/٢).

فما ترجي النفوس من زمِنْ أَحْمَدُ حالِيهِ غَيْرَ مُحَمَّدٌ<sup>(١)</sup>  
وَقُولُهُ فِي حَالِهِ:

وأَتَعْبُ خَلْقَ اللَّهِ مِنْ زَادَ هَمَّهُ وَقَصَرَ مَا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدَهُ<sup>(٢)</sup>  
أَيْ أَنْ أَتَعْبَ النَّاسَ مِنْ كَثْرَتْ طَمْوَحَاتِهِ، وَقَصَرَتْ إِمْكَانَاتِهِ عَنْهَا،  
وَهَذَا هُوَ حَالُ الْمَتَنَبِيِّ!

وَقُولُهُ مِنْ بَيْنَ أَكْثَرَةِ تَشْكِيهِ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِيَّ هَلْ أَقُولُ قَصِيدَةً  
وَقُولُهُ:

مَا لِي يَلْغُونِي ذَا أَنْ يُلْغِنِي  
مَادَمَ يَصْحَبُ فِيهِ رُوحَ الْبَدْنُ  
تَجْرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السُّفَنُ<sup>(٤)</sup>  
أَرِيدُ مِنْ زَمِنِي ذَا أَنْ يُلْغِنِي  
لَا تَلْقَ دَهْرَكَ إِلَّا غَيْرَ مَكْتَرِثٍ  
مَا كَلَ مَا يَتَمَنَّى الْمَرءُ يَدْرِكُهُ  
وَقُولُهُ فِي أَبْيَاتٍ جَمِيلَةٍ:

صَحِّبَ النَّاسُ قَبْلَنَا ذَا الزَّمَانَا  
وَتَوَلَّوْا بِغُصَّةٍ كَلَهُمْ مِنْ  
وَعْنَاهُمْ مِنْ أَمْرِهِ مَا عَنَانَا  
هُ وَإِنْ سَرَّ بَعْضُهُمْ أَحْيَانًا<sup>(٥)</sup>

(١) ديوانه (٤٥ / ٢).

(٢) ديوانه (٢١٦ / ٢).

(٣) ديوانه (٢٣٠ / ٢).

(٤) ديوانه (٢٣٤ / ٢ - ٢٣٥).

(٥) ديوانه (٢٣٧ / ٢).

وقوله في الشكوى من أهل زمانه:  
 وكن على حذر للناس تستره ولا يغرك منهم ثغر مبتسم  
 غاض الوفاء فما تلقاه في عده وأعوز الصدق في الإخبار والقسم<sup>(١)</sup>  
 ومنها:

أتى الزمان بنوه في شببته فسرهم وأتيناه على الهرم

### المتنبي والحساد:

بُلّي المتنبي بكثير من الشعراء الحُسَاد، الذين كانوا  
 يعلمون مدى تفوقه عليهم، وحفاوة ذوي الجاه به وبشعره،  
 فأورثهم هذا سعيأً حثيثاً في تطلب عثراته، وإقامة الأهوال أمام  
 مطامحه، وساعدهم في هذا بعض ذوي الجاه ومن لم يعبأ بهم  
 أبو الطيب، ولم ينشط لمدحهم.

فنفت أبو الطيب زفرات عديدة في ديوانه، يصور فيها كيد  
 هؤلاء الحсад له.

فمن تلكم الأبيات التي تصور كيد الحсад لأبي الطيب،  
 وتصوирه ملاقاهم في كل بلدة يستقر فيها نظراً لتفوقه  
 عليهم، قوله لأبي الحسين علي بن أحمد المري وقد أراد

(١) ديوانه (٢٦٢/٢).

الارتحال عنه:

فاجعل نداك عليهم بعض أنصاري<sup>(١)</sup>

وقد مُنِيتُ بحسناً دأهاريهم

وقوله:

لجدت به لذى الجد العثور  
وما خير الحياة بلا سرور<sup>(٢)</sup>

ولو أني حسنت على نفيسٍ  
ولكنني حسنت على حياتي

وقوله:

إن النفيس غريبٌ حينما كان  
ألقى الكميَّ ويلقاني إذا حانا<sup>(٣)</sup>

وهكذا كنت في أهلي وفي وطني  
محسَّد الفضل مكذوبٌ على أثري

وقوله:

يظلُّ بلحظ حسادي مشوباً<sup>(٤)</sup>

وماليلٌ بأطول من نهارٍ

وقوله:

وفي يدهم غيضٌ وفي يدي الرفد<sup>(٥)</sup>

فلازلت ألقى الحاسدين بمثلها

(١) ديوانه (٢١١/١).

(٢) ديوانه (٢١٣/١).

(٣) ديوانه (٢٢٧/١).

(٤) ديوانه (٢٣٩/١).

(٥) ديوانه (٢٥٣/١).

**وقوله:**

وما كمد الحساد شيء قصدته ولكن من يزحم البحر يغرق<sup>(١)</sup>  
وقوله:

أعادى على ما يوجب الحب للفتى  
سوى وجمع الحساد داٍو فإنه  
ولا تطمعن من حاسد في مودة  
وقوله مخاطباً سيف الدولة:

أَزْلَ حَسَدَ الْحَسَادَ عَنِّي بِكَبْتَهُمْ فَإِنْتَ الَّذِي صَيَّرْتَهُمْ لِي حُسْداً<sup>(٣)</sup>  
وَقَوْلَهُ لَهُ يَتَشَكَّى مِنْ حَسَدِ الشُّعَرَاءِ الَّذِينَ لَا يَسَاوِونَهُ:

أفي كل يوم تحت ضبني شويعر  
للساني بنطقي صامت عن عادل  
وأتعب من ناداك من لا تجيئه  
ضعيف يقاويني قصير يطاؤل  
وقلبي بصمت ضاحك منه هازل  
وأغيظ من عاداك من لا تشاكل<sup>(٤)</sup>

**وقوله في استشارة سيف الدولة عليهم:**

فليت سيوفك في حاسد إذا مظهرت عليهم كتب<sup>(٥)</sup>

۱۰۰ / ۲ دهانه (۱)

۲) دهانه (۲/۱۱۲)

(۱۲۶/۲) سیلوا (۳)

(N<sub>2</sub>, /2)  $\rightarrow$  (1)

(x,y)/(z) گلوب (0)

وقوله في بيان كثرة حاسديه:

قليلٌ عائدي سَقِمْ فَوَادِي كثيرٌ حاسدي صعبُ مرامي<sup>(١)</sup>

**أبيات الغزل في ديوان المتنبي:**

أما الغزل فليس لأبي الطيب فيه حظ ولا نصيب، فقد  
شغله عنه تطشه للمعالي - كما يقول -، فلم يفرغ لمناجاة غادةٍ  
حسناً يتربّن بمحسنها في شعره، أو يبكي آهاته ويشكو عاذليه.  
فهمة المتنبي مصروفة إلى التنقل من بلد إلى بلد طلباً  
لضيعة يترأسها، أو ولاية يتملكها، فلم يكن لديه من الوقت  
ما يصرفه في تتبع الغوانى والترصد لهن، وفي هذا يقول<sup>(٢)</sup>:  
تركنا لأطراف القنا كلّ شهوة فليس لنا إلا بهنّ لعب  
ويقول عن الخمر:

يشغلني عنها وعن غيرها توطيني النفس ليوم الطعان<sup>(٣)</sup>  
و(غيرها) يعني به التغزل بالنساء والتسبّب بهن.

ومع هذا لم يخل أبو الطيب ديوانه من مقاطع من الغزل  
الذي يجريه (تكلفاً) لا طبعاً، ويقوله مجارةً لسُنة الشعراء

(١) ديوانه (٢٤٨/٢).

(٢) ديوانه (٢٤٢/٢).

(٣) ديوانه (٢٨١/١).

الذين يبدأون مدحهم بالتجزّل في امرأة متخللة يتدرجون من خلال وصفها إلى مدح الممدوح.

مثال ذلك قول المتنبي في مدحه المغيث بن علي

العجلني :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت  
بيتاً من القلب لم تمدد له طُنباً  
مظلومة القد في تشبّيهه غصناً  
بيضاء تطمع في ماتحت حلتها  
وعرّ ذلك مطلوباً إذا طلباً  
كأنها الشمس يعيي كفَ قاپضِه شعاها ويراه الطرفُ مُقتراً<sup>(١)</sup>  
 فهو قد تدرج إلى مدح (المغيث) من خلال تغزله بهذه  
الأعرابية المتخللة.

وانظر أمثلة أخرى مشابهة في ١٤٩/١، ١٥٣، ١٥٧،  
١٦١، ١٨٩، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٥٠، ٢٧٦، ٦٩، ٧٦، ٨٧، ٩٧، ١٠٣، ١٠٧، ١٤٦، ١٨٥، ١٨٨،  
. ٣١٨، ٣١٣، ٣٠٣

### أبيات الهجاء في ديوان المتنبي:

أما الهجاء فإن أبا الطيب لم يكثر منه لشغله بممدوحيه،  
ولكنه إذا هجا أوجع وأقذع، ويكتفيه قصيده في هجاء ضبة بن

(١) ديوانه (١٤١/١).

يزيد العتبى التي كانت سبباً في مقتله كما سبق، وهذه القصيدة (البديئة) قد تعف عنها (بعض) من طبع ديوان المتنبي فلم يطبعوها كاملة أو خففوا من لهجتها، ومطلعها:

**مأنصف القوم ضبة وأمه الطرطبه<sup>(١)</sup>!**

ومن هجاء المتنبي المنكى قوله في ابن كروس الأعور:

في ابن كروس يانصف أعمى وإن تفخر فيها نصف البصير  
تُعادينا لآنا غير لُكْنِ وتبغضنا لآنا غير عور  
فلو كنت امراً يُهْجِي هجونا ولكن ضاق فِتْرٌ عن مسير<sup>(٢)</sup>  
وأما أهاجيه الشهيرة لكافور فهي قد علّمت لكل ناظرٍ في

ديوان المتنبي وسيرته.

فهو قد أقذع جداً في هجائه، والسخرية من لونه الأسود  
والتهكم بجسمه.

ومن طالع سيرة الاثنين - أعني كافوراً والمتنبي - علم أن  
المتنبي قد ظلم كافوراً أشد الظلم، وصوره في صورة غير التي  
قد ذكره بها المؤرخون.

يقول الذهبي عن كافور:

(١) ديوانه (٢٩٣/١).

(٢) ديوانه (٢١٣/١).

«وكان مهيباً، سائساً، حليماً، جواداً، وقاراً، لا يشبه عقله عقول الخدام، وفيه يقول المتنبي<sup>(١)</sup>:  
 قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا  
 فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلت بياضاً خلفها وماقيا  
 فأقام عنده أربع سنين، وناله ما لجزيل، ثم هجاه لامة  
 وكفر النعمته، وهرب على البرية»<sup>(٢)</sup>.  
 وانظر: ٢٧٤/١، ٢٩٦، ٢٧٥، ٢٧٨ و ٨٥.

### أبيات الرثاء في ديوان المتنبي:

أما الرثاء فأبياته قليلة جداً في ديوان المتنبي، فهو لا ينشط  
 لرثاء أحد إلا أن يكون ذا قرابة لصيقته به، كجدته التي ماتت فرحاً  
 بقدوم كتابه فقال فيها قصيده الشهيرة التي مطلعها:  
 إلا لا أرى الأحداث مدحأ ولا ذمأ فما بطشها جهلاً ولا كفها حلماً  
 إلى مثل ما كان الفتى مرجع الفتى يعود كما أبدى ويُكرى كما أرمى  
 لك الله من مفجوعة بمحبها قليلة شوق غير ملحقها وصمماً<sup>(٣)</sup>  
 أو أن يكون المرثي قريباً لسيف الدولة الحمداني الذي

(١) ديوانه (٢/٢٠٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/١٩١).

(٣) ديوانه (١/٢١٨).

أولع المتنبي ب مدحه ، كوالدته التي ماتت فرثاها أبو الطيب  
بقصيدة مطلعها :

نُعد المشرفة والعوالي  
وتقتلنا المُنون بلا قتال<sup>(١)</sup>  
ومنها الأبيات الشهيرة :

رماني الدهر بالأرzae حتى  
فصرت إذا أصابتني سهام  
فهان فما أبالي بالرزايا  
وكذلك رثى أبو الطيب أخت سيف الدولة ، التي قيل بأنه  
كان يخفي حبّها ، فقال :

يأخذ خير أخ يأخذ خير أب  
أجل قدرك أن تسمى مؤينة  
ومنها الأبيات الشهيرة :

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر  
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً  
ولأبي الطيب مراثٍ أخرى غير ماسبق ، ولكنها قليلة جداً  
قياساً بغيرها من قصائد المديح ، فانظر : ١١٦ / ١ ، ١١٧ و

(١) ديوانه (١٢ / ٢).

(٢) ديوانه (١٩٢ / ٢).

. ٢٥٩، ٢٥٥، ١٥٩، ٧٣، ٤٤، ٢٧ / ٢

### أبيات الوعظ في ديوان المتنبي:

أما المواعظ فهي كالكبريت الأحمر في ديوان المتنبي، وكيف يعظ الناس من هو راتع في الدنيا صبحه ومساءه، ومن دميت أخلف راحلته بين مشرق البلاد ومغاربها طلباً لكسب دنيوي عاجل تلهى به الشاعر عن العمل الصالح الذي يُلِّين قساوة القلب، فيجعله يدع شتى المواعظ المؤثرة.

فالمواعظ غير مناسبة لحال أبي الطيب؛ لأنَّه شاعر دنيا لا شاعر آخرة، فلا توجد المواعظ سوى في أبيات الرثاء من ديوانه، فهو يقولها مراعاةً للموقف الذي يدعو للتفكير في الموت ومصير الإنسان الم قبل، لذا فهو يقولها عادةً متبعه عند الشعرا، فهو يتبعهم فيها، ثم لا يلبث أن يعود بعدها إلى مدحه.

فمن ذلك قوله في رثاء محمد بن إسحاق التنوخي:  
إني لأعلم واللبيب خبير أن الحياة وإن حرست غرور  
ورأيت كلاً ما يُعلل نفسه بتعلة وإلى الفناء يصير<sup>(١)</sup>  
قلت: ليت أبا الطيب عمل بهذه الأبيات التي قالها، وعلم

(١) ديوانه (١١٦/١).

(أن الحياة وإن حرست غرور) !.

ومن ذلك قوله في رثاء عمة عضد الدولة :

لابد للإنسان من ضجعةٍ . لا تقلب المُضجع عن جنبه<sup>(١)</sup>

\* \* \*

---

(١) ديوانه (٢/٣٢٤).



أقوال العلماء  
في  
المتنبي



١ - **شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله:**

قال ابن كثير في (البداية والنهاية) في ترجمة المتنبي :

«ومنها قوله<sup>(١)</sup> :

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعود به مما أحاذره  
لا يجبر الناس عظماً أنت كاسره ولا يهضمون عظماً أنت جابره  
وقد بلغني عن شيخنا العلامة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية  
رحمه الله أنه كان ينكر على المتنبي هذه المبالغة في مخلوق  
ويقول : إنما يصلح هذا لجذاب الله سبحانه وتعالى . وأخبرني  
العلامة شمس الدين ابن القيم رحمه الله أنه سمع الشيخ تقى  
الدين المذكور يقول : ربما قلت هذين البيتين في السجود أدعوا  
الله بما تضمناه من الذل والخضوع<sup>(٢)</sup> .

٢ - **ابن قيم الجوزية:**

قال - رحمه الله - :

«فتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك ، ثم  
ضع حالهم في كفة ، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة ، ثم زن وزناً

(١) أي المتنبي .

(٢) البداية والنهاية (٢٧٥ / ١١).

يرضى الله به ورسوله، ويطابق العدل، وربما صرَّح العاشق منهم  
بأن وصل معشوقة أحب إليه من توحيد ربه، كما قال الفاسق  
الخبيث:

يترشفن من فمي رشفاتٍ هنَّ أحلَّ فيه من التوحيد<sup>(١)</sup>

٣ - ابن كثير:

قال رحمة الله:

«وقد ادعى<sup>(٢)</sup> حين كان مع بني كلب بأرض السماوة قريباً  
من حمص أنه علوى، ثم ادعى أنه نبى يوحى إليه، فاتبعه جماعة  
من جهلتهم وسفلتهم، وزعم أنه أنزل عليه قرآن، فمن ذلك  
قوله: «والنجم السيارات، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن  
الكافر لفي خسار، امض على سنتك واقف أثر من كان قبلك من  
المرسلين، فإن الله قامع بك من الحد في دينه، وضل عن سبيله»  
وهذا من خذلانه وكثرة هذيانه وفشاره، ولو لزم قافية مدحه  
النافق بالنفاق، والهجاء بالكذب والشقاق، لكان أشعر  
الشعراء، وأفصح الفصحاء، ولكن أراد بجهله وقله عقله أن

(١) الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافى (ص ٣٥٤) ط دار ابن  
كثير.

(٢) أي المتنبي.

يقول ما يشبه كلام رب العالمين الذي لو اجتمعت الجن والإنس والخلائق أجمعون على أن يأتوا بسورة مثل سورة من أقصر سوره لما استطاعوا. ولما اشتهر خبره بأرض السماوة وأنه قد التف عليه جماعة من أهل الغباوة، خرج إليه نائب حمص من جهةبني الإخشيد وهو الأمير لؤلؤ بيسن الله وجهه، فقاتلته وشرد شمله، وأسر مذموماً مدحوراً، وسجن دهراً طويلاً، فمرض في السجن وأشرف على التلف، فاستحضره واستتابه وكتب عليه كتاباً اعترف فيه ببطلان ما ادعاه من النبوة، وأنه قد تاب من ذلك ورجع إلى دين الإسلام، فأطلق الأمير سراحه، فكان بعد ذلك إذا ذكر له هذا يجحده إن أمكنه وإن لا اعتذر منه واستحيى، وقد اشتهر بلفظة تدل على كذبه فيما كان ادعاه من الافك والبهتان، وهي لفظة المتنبي، الدالة على الكذب، والله الحمد والمنة، وقد قال بعضهم يهجوه :

أي فضل لشاعر يطلب الـ فضل من الناس بكرةً وعشياً  
عاش حيناً يبيع في الكوفة المـ وحينـاً يبيعـ ماءـ المـحـيـاـ  
وللمـتنـبيـ دـيـوانـ شـعـرـ مشـهـورـ ،ـ فـيهـ أـشـعـارـ رـائـقةـ وـمعـانـ  
ليـسـ بـمسـبـوقـةـ ،ـ بلـ مـبـتـكـرـةـ شـائـقـةـ .ـ وـهـوـ فـيـ الشـعـراءـ الـمـحـدـثـيـنـ  
كـامـرـيـءـ الـقـيـسـ فـيـ الـمـتـقـدـمـيـنـ ؛ـ وـهـوـ عـنـديـ كـمـاـ ذـكـرـ مـنـ لـهـ خـبـرـةـ

بهذه الأشياء مع تقدم أمره»<sup>(١)</sup>.

#### ٤- الذهبي:

قال - رحمة الله - في ترجمة (كافور) من (سير أعلام النبلاء):

«وكان مهيباً، سائساً، حليماً، جواداً، وقوراً، لا يشبه عقله عقول الخدام، وفيه يقول المتنبي :

قواصد كافور توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخَلَّت بياضاً خلفها وماقيا فأقام عنده أربع سنين، وناله مالٌ جزيل، ثم هجاه لأمة وكفر النعمته، وهرب على البرية»<sup>(٢)</sup>.

وقال : «وكان مُعجباً بنفسه، كثير الباو والتيه، فمُقت لذلك»<sup>(٣)</sup>.

#### ٥- ابن نباته.

قال في ترجمته للمتنبي في كتابه «سرح العيون»<sup>(٤)</sup>:

(١) البداية والنهاية (١١/٢٧٣ - ٢٧٤).

(٢) سير أعلام النبلاء (١٦/١٩١).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٦/١٩٩ - ٢٠١).

(٤) ص ٣٧ - ٤٤.

«وكان عفا الله عنه قد انفرد بخصال:

منها: الْكِبْرُ الزائدُ كَمَا ذُكِرَهُ الْحَاتِمِيُّ وَغَيْرُهُ، وَهُوَ مَا  
أَحْوَجَهُ إِلَى فِرَاقِ سَيفِ الدُّولَةِ. وَحَكَى ابْنُ جَنْيَى قَالَ: قَلْتُ  
لِلْمُتَنَبِّيِّ وَقَدْ أَسْمَعْنِي شِعْرًا فِي كَافُورٍ: يَعْزِيزُ عَلَيَّ أَلَا يَكُونُ هَذَا فِي  
سَيفِ الدُّولَةِ! قَالَ: إِنِّي أَنْذَرْتُهُ وَحْذَرْتُهُ فَمَا قَبْلَهُ، وَذَلِكَ فِي  
قُولِيٍّ:

ذَا الْجُودِ أَعْطَ النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ

وَلَا تَعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنْتَ قَائِلٌ»<sup>(١)</sup>

#### ٦- الشِّيخُ ابْنُ عَثِيمِينَ:

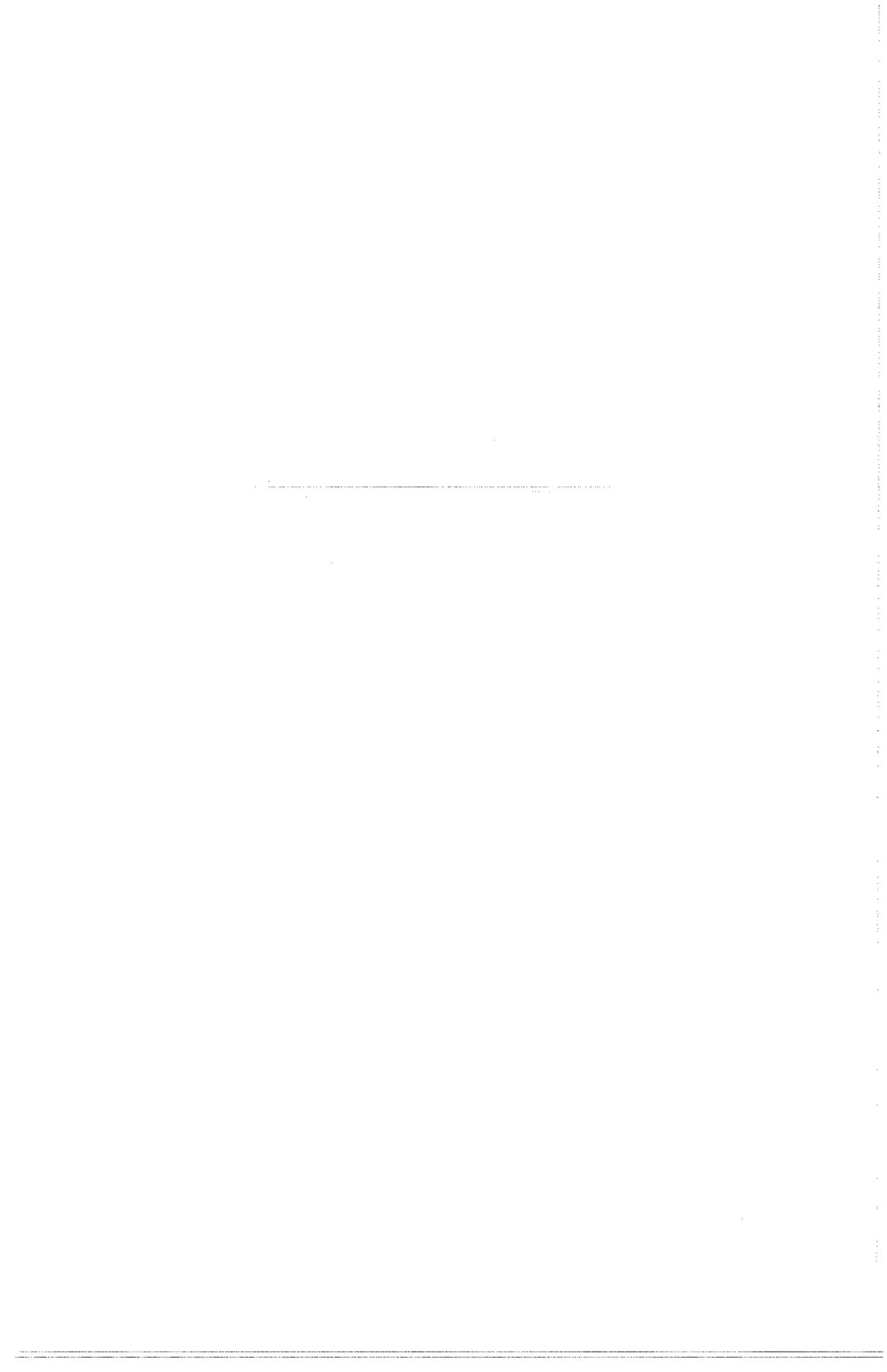
قال الشِّيخُ ابْنُ عَثِيمِينَ - حَفَظَهُ اللَّهُ - مُتَحَدِّثاً عَنْ أَنْوَاعِ  
الْتَّشْبِيهِ الَّذِي يَغْلُو فِيهِ أَصْحَابُهُ:  
«وَالثَّالِثُ: كَفْعَلُ الْغَلَةِ فِي مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ غَيْرُهُ، مُثْلِ  
قُولِ الْمُتَنَبِّيِّ يَمْدُحُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَحْيَى الْبَحْتَرِيِّ:  
فَكَنْ كَمَا شَئْتَ يَا مَنْ لَا شَيْبَهُ لَهُ  
وَكَيْفَ شَئْتَ فَمَا خَلَقْتُ يَدَنِيكَا»<sup>(٢)</sup>

(١) ديوانه (١١٧/٣).

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (ص ٢٠).



**المتنبـي**  
**مالـه و ماعـلـيه**



هذا عرض لما قد لفت نظري في ديوان المتنبي من أبيات تضمنت أموراً يُحمد عليها، وأبيات أخرى تضمنت أموراً يُنبه عليها للتُّحذر وتُترك، وهذا الموضع هو لب رسالتي هذه «المتنبي في الميزان» حيث مررت على جميع ديوانه متفرحصاً ما فيه ثم خرجت بهذه الموازنة، بادئاً بما له قبل ما عليه، فأقول مستعيناً بالله:

**أولاً: حاله:**

١ - فمن ذلك قوله<sup>(١)</sup> في مرثية له:  
أين الأكاسرة الجباررة الأولى    كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا  
٢ - و قوله<sup>(٢)</sup>:

ترى القمر الأرضي والملك الذي    له الملك بعد الله والمجد والذكر  
فالملك لله أولاً ثم لملوك الأرض

٣ - و قوله<sup>(٣)</sup> في رثاء محمد بن إسحاق التنوخي:  
ألا إنما كانت وفاة محمد    دليلاً على أن ليس لله غالب  
٤ - و قوله<sup>(٤)</sup>:

(١) ديوانه (٧١/١).

(٢) ديوانه (١٠٨/١).

(٣) ديوانه (١٢٠/١).

(٤) ديوانه (١٣١/١).

كأن سخاءك الإسلام تخشى

إذا ماحلت عاقبة ارتداد

فعقاب الردة عن الإسلام معلومة عند المتنبي وهي القتل.

٥ - قوله<sup>(١)</sup>:

مكافيك من أوليت دين رسوله يداً لا تؤدي شكرها اليدُ والضمُّ  
فالمنكافِيء هو الله - عز وجل - .

٦ - ومنه قوله<sup>(٢)</sup>:

إذا بقيت سالماً أباً على فالمُلْكُ لِلَّهِ الْعَزِيزِ ثُمَّ لِي

٧ - ويؤمن المتنبي بأن الله على عرشه فوق السموات

السبع، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة كما قال تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول أبو الطيب<sup>(٤)</sup>:

سلام الذي فوق السموات عرشه تُخص به ياخير ماشٍ على الأرض  
ولكنه أساء في قوله عن ممدوحه بأنه: «خير ماشٍ على

الأرض»!!

(١) ديوانه (١٦٠/١).

(٢) ديوانه (١٧٦/١).

(٣) سورة طه، الآية: ٥.

(٤) ديوانه (٢٠٢/١).

٨ - ومنه قوله<sup>(١)</sup> معترفاً بأن الخلق صائرون إلى الله:  
 لا أحظ الدنيا بعيني وامي ولا أبالي قلة الموافق  
 أي كبت كل حسد منافق أنت لنا وكلنا للخالق  
 قال تعالى: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ <sup>٥٣</sup><sup>(٢)</sup> ، وقال  
 تعالى عن المؤمنين بأنهم يقولون: ﴿قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَجِعونَ﴾ <sup>٥٦</sup><sup>(٣)</sup>.

٩ - ومنه قوله<sup>(٤)</sup>:

مُشْبِّثُ الْجَنَاحَيْنِ الْمُكَبِّلُ لِلْمُكَبِّلِ فَكِيفَ تُوَقِّيَهُ وَبَانِيهُ هَادِمُهُ  
 وَهَذَا اعْتِرَافٌ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي يَجْعَلُ الْبَشَرَ شَبَانًا وَيَجْعَلُهُمْ  
 شَبَانًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَّا إِلَى اللَّهِ خَلَقْتُكُم مِّنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ  
 ضَعْفِ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ  
 الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ <sup>٥٤</sup><sup>(٥)</sup>.

١٠ - ومنه قوله<sup>(٦)</sup> اعترافاً بقدرة الله - عز وجل -: .

(١) ديوانه (١/٢٧٣).

(٢) سورة الشورى، الآية: ٥٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

(٤) ديوانه (٤/٢).

(٥) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٦) ديوانه (٤٣/٢).

ولولا قدرة الخلاق قلنا أعمداً كان خلقك أم وفaca  
١١ - ومنه قوله<sup>(١)</sup> في سيف الدولة عندما سمع المؤذن  
فقام إلى الصلاة:

ألا أذن فما أذكرت ناسي ولا لينت قلباً وهو قاسي  
ولا شُغِلَ الأمير عن المعالي ولا عن حق خالقه بكاسِ

والذي يود سامع هذين البيتين معرفته هو بمذا مليء هذا  
الكأس؟ !!.

١٢ - ومنه قوله<sup>(٢)</sup> في ذم المنجمين:  
فتباً لدين عبيد النجوم ومن يدعي أنها تعقلُ  
١٣ - ومنه ذمه للنصارى الذين كان يحاربهم سيف  
الدولة وشماتته بهم في أبيات كثيرة، منها قوله<sup>(٣)</sup>:  
تحاول نفس ملك الروم فيها فتغديه رعيته العلوج  
أبالغمرات توعدنا النصارى ونحن نجومها وهي البروج  
وقوله<sup>(٤)</sup>:

(١) ديوانه (٥١/٢).

(٢) ديوانه (٥٩/٢).

(٣) ديوانه (٦٠/٢).

(٤) ديوانه (٦٣/٢).

حتى أقام على أرباض خرشنة تشقى به الروم والصلبان والبيع  
وقوله<sup>(١)</sup>:

إذا ماتركنا أرضهم خلفنا عدنا وقد علم الروم الشقيون أنا  
وقوله<sup>(٢)</sup>:

بهذا وما فيها لمجدك جاحد وأشقي بلاد الله ما الروم أهلها  
وقوله<sup>(٣)</sup>:

والبر في شُغْلٍ والبحر في خجل فنحن في جذل الروم في وجل  
وقوله<sup>(٤)</sup>:

فإن شك فليحدث بساحتها خطباً وأنك رعت الدهر فيها وريبه  
ويوماً بخيل تطرد الروم عنهم في يوماً بخيل  
وقوله<sup>(٥)</sup>:

فالعرب منه مع الكدرى طائرةٌ والروم طائرة منه مع الحجل  
وقوله<sup>(٦)</sup>:

(١) ديوانه (٦٧/٢).

(٢) ديوانه (٧٠/٢).

(٣) ديوانه (٨٩/٢).

(٤) ديوانه (٧٨/٢).

(٥) ديوانه (٩٠/٢).

(٦) ديوانه (٢٠٠/٢).

ويستنصران الذي يعبدان  
وعندهما أنه صلب  
ليدفع ماناله عنهم  
فياللرجال لهذا العجب  
١٤ - ومنه قوله<sup>(١)</sup>:

فُعُوض سيف الدولة الأجر إنه  
أجلٌ مثاب من أجلٌ مثيب  
وأجلٌ مثيب هو الله - عز وجل -.  
١٥ - ومنه قوله<sup>(٢)</sup>:

فمن كان يرضي اللؤم والكفر ملكه  
فهذا الذي يرضي المكارم والربا  
١٦ - ومنه قوله<sup>(٣)</sup> ذاكراً الإسلام في شعره:

وأخلص الله للإسلام نصرته وإن تقلب في آلائه الأمم

١٧ - ومنه قوله<sup>(٤)</sup> مادحاً سيف الدولة بقتاله لمن يتكبر  
عن دين الله :

ومستكبر لم يعرف الله ساعة رأى سيفه في كفه فتشهدا  
١٨ - ومنه قوله<sup>(٥)</sup>:

وراجيك والإسلام أنك سالم هنيئاً لضرب الهم والمجذ والعلى

(١) ديوانه (٧٥/٢).

(٢) ديوانه (٧٩/٢).

(٣) ديوانه (١١٧/٢).

(٤) ديوانه (١٢٣/٢).

(٥) ديوانه (١٤٢/٢).

١٩ - ومنه مدحه للإسلام في قوله<sup>(١)</sup>:

خضعت لمنصبك المناضل عنوة وأذل دينك سائير الأديان

٢٠ - ومنه قوله<sup>(٢)</sup> مُعِرّضاً بشاربِيَّ الخمر وسامعي المعازف من  
ملوك عصره:

اللهى الممالك عن فخر قفت به شربُ المدامة والأوتار والنغم  
ومثله قوله<sup>(٣)</sup>:

ما الذي عنده تدار المنايا كالذي عنده تدار الشمائل

٢١ - ومنه قوله<sup>(٤)</sup> ذاكراً أخلاق الناس في الروح: أقدمية هي أم  
محديثة؟

تختلف الناس حتى لا اتفاق لهم إلا على شجب والحُلْف في الشجب  
فقيل تخلص نفسُ المرء سالمٌ وقيل تشرك جسم المرء في العطب  
والصواب في هذه المسألة التي لم يفصل فيها أبو الطيب  
هو أنه «قد أجمعَت الرسُول على أنها - أي الروح - محدثة  
مخلوقة، مصنوعة، مربوبة، مدبرة، وهذا معلوم بالضرورة من  
دينهم أن العالم مُحدث، ومضى على هذا الصحابة والتابعون

(١) ديوانه (٢/١٧٤).

(٢) ديوانه (٢/١٨٢).

(٣) ديوانه (٢/١٩١).

(٤) ديوانه (٢/١٩٦).

حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنّة فزعم أنها قديمة»<sup>(١)</sup>.

قال ابن أبي العز - رحمه الله - : «اتفق أهل السنّة والجماعة على أنها - أي الروح - مخلوقة»<sup>(٢)</sup>.

وانظر لزيادة البيان والتفصيل كتاب «الروح» للعلامة ابن القيم - رحمه الله - (ص ٢٣٧ وما بعدها).

٢٢ - ومنه قوله<sup>(٣)</sup> في من نصرهم سيف الدولة:

فخرروا الخالقهم سجداً ولو لم تغث سجدوا للصلب

٢٣ - ومنه قوله<sup>(٤)</sup> في ذم المجوس المانوية:

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ تُخْبِرُ أن المانوية تكذبُ

وتوضيح هذا: أن المانوية هم أصحاب «ماني بن فاتك»

الذي ظهر في بلاد الفرس بعد عيسى عليه السلام، فخلط دينه

من المجوسية والنصرانية، وزعم أن العالم مركب من أصلين

قديمين: أحدهما: نور، والأخر: ظلمة. وأنهما أزليان، وأن

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (ص ٥٦٢ - ٥٦٣) ط. التركي والأرنؤوط.

(٢) المصدر السابق (ص ٥٦٣).

(٣) ديوانه (٢/٢٠٠).

(٤) ديوانه (٢/٢٢٩).

النور اختص بالخير ، والظلمة اختصت بالشر والفساد .. إلى آخر ما قال<sup>(١)</sup>.

فأبو الطيب يريد أن يقول بأن أفعال ممدودحه الخيرية كما أنها تقع في النهار ، فهي كذلك تقع في الليل ، مما يكذب قول المانوية بأن الظلام هو مصدر الشر والفساد !

٢٤ - ومنه قوله<sup>(٢)</sup> في الموت بأنه أمر لا يُدفع :  
ما زلت تدفع كل أمر فادح حتى أتى الأمر الذي لا يُدفع  
ومثله قوله<sup>(٣)</sup> :

قد كان أسرع فارسٍ في طعنة فرساً ولكن المنية أسرع  
٢٥ - ومنه تسبيحه الله في قوله<sup>(٤)</sup> :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم  
٢٦ - ومنه قوله<sup>(٥)</sup> في نسبة الأمور وتدبرها إلى الله

وحده :  
والأمر لله رب مجتهد ماخاب إلا لأنه جاهد

(١) انظر : «الممل والنحل» للشهرستاني (٢٦٩/٢ وما بعدها).

(٢) ديوانه (٢٥٦/٢).

(٣) ديوانه (٢٥٨/٢).

(٤) ديوانه (٢٦٢/٢).

(٥) ديوانه (٣٢٢/٢).

٢٧ - ومنه افتخاره ببعده عن الفحشاء في قوله<sup>(١)</sup>:

ما جدر الأيام والليالي     بأن تقول ماله ومالي  
لا أن يكون هذا مقالي     فتى بنيران الحروب صالي  
منها شرابي وبها اغتسالي     لا تخطر الفحشاء لي ببالٍ



---

(١) ديوانه (٢٢٨/٢).

ثانياً: ما عليه:

١- فمن ذلك أنه شبه حلاوة رشفات محبوباته لفمه بحلاوة التوحيد بقوله<sup>(١)</sup>:

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد  
وهذا البيت يدل على رقة دين المتنبي الذي تساوى عنده التوحيد الذي هو أساس الأعمال برشفات محبوباته، فهو قول (كيري) لا يقيم وزناً للدين الله، بل يسخر منه وينزله إلى أسفل المنازل عندما يشبهه بهذه المعصية التي وقع فيها.

وقد حاول بعض المتعصبين لأبي الطيب توجيه هذا البيت الذي يشهد بقلة دينه توجيهها آخر، فقالوا بأن التوحيد هو نوع من التمور التي تُوجَد في العراق !!<sup>(٢)</sup>

وبعضهم اعترف بأن المراد من قوله «التوحيد» هو توحيد الله! ولكنه تم حل في تخريره هذا القول بادعاء أن الدين لا يحكم على الشعر! وأنه يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره من أنواع التجاوزات!<sup>(٣)</sup>!

(١) ديوانه (٦٢/١).

(٢) انظر: «الغُرف الطِّيب» لناصيف اليازجي (١٥/١).

(٣) انظر: شرح ديوان المتنبي المنسوب لأبي البقاء العكيري (٣١٥/١) =

يقول القاضي الجرجاني متبيناً هذا الرأي الشاذ<sup>(١)</sup> في كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه». «والعجب من ينقص أبا الطيب ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل على ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة قوله<sup>(٢)</sup>:

يترشفن من فمي رشفات هُنَّ فيه أحلى من التوحيد  
وقوله<sup>(٣)</sup>:

وأبهر آيات التهامي أنه أبوكم وإحدى مالكم من مناقب  
وهو يحتمل لأبي نواس قوله:

قلت والكأس على ك في تهوي لالشامي  
أنسلاً أعرف ذاك ال يوم في ذاك الزحام  
وقوله<sup>(٤)</sup>:

ياعاذلي في الدهر ذا هَجْرٌ لا قدرٌ صَحْ ولا جَبْرٌ

= حيث نقل شيئاً من هذا عن ابن القطاع.

(١) ومثله عبد الرحمن البرقوقي في شرحه لـديوان المتنبي (٤٠/٢). قال: «مثل هذه المبالغات مقبول مستساغ في مذهب الشعراء...» إلى آخر مقالاً !!.

(٢) ديوانه (١/٣١٥).

(٣) ديوانه (١/١٥٤).

(٤) المنشور: ص ٢٧٦.

ما صح عندي من جميع الذي يُذكر إلا الموت والقبر  
فأشرب على الدهر وأيامه فإنما يهلكنا الدهر  
وقوله<sup>(١)</sup>:

استمعي ما أبىث من أمري عاذلتي بالسفاه والزجر  
وذاك أنى أقول بالدهر باح لسانى بمضمر السر  
كافرة بالحساب والحسير بين رياض السرور لي شيع  
لما رأوه من ضغطة القبر موقنة بالممات جاحدة  
 وإنما الموت بيضة العقر<sup>(٢)</sup> وليس بعد الممات مُقلب  
وقوله:

لما وعدوه من لبن وخمراً أترك لذة الصهباء نقداً  
 الحديث خرافه يا أم عمرو حياة ثم موت ثم بعث  
 وقد رواني أنها لديك الجن  
وقوله<sup>(٣)</sup>:

ونبذت موعظتي وراء جداري فدع الملام فقد أطعت غوايتي  
وتمتعا من طيب هذى الدار ورأيت إيثار اللذادة والهوى  
ظنني به رجم من الأخبار أخرى وأحرم من تنظر آجل

(١) الموسح: ص ٢٧٧.

(٢) بيضة العقر: آخر بيضة تبيضها الدجاجة إذا هرم.

(٣) الموسح ص ٢٧٧، مع تغيير في رواية الأبيات.

إني بعاجل ماترين موكل وسواه إرجافٌ من الآثارِ  
ما جاءنا أحدٌ يخبر أنه في جنة مذ مات أو في النارِ

فلو كانت الديانة عاراً على الشعر، وكان سوء الاعتقاد  
سبباً لتأخر الشاعر، لوجب أن يُمحى اسم أبي نواس من  
الدواوين، ويحذف ذكره إذا عُدّت الطبقات، ولكن أولاً لهم  
بذلك أهل الجاهلية، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر، ولوجب أن  
يكون كعب بن زهير وابن الزبوري وأضرابهما ممن تناول رسول  
الله ﷺ وعاب من أصحابه بكماء خرساً وبكاء<sup>(١)</sup> مفحمين؛ ولكن  
الأمرين متبادران، والدين بمعزل عن الشعر»<sup>(٢)</sup> !!

قلت: كيف يكون الدين بمعزل عن الشعر، والله - عز  
وجل - قد سمى إحدى سور القرآن بسورة (الشعراء) فهل هذا إلا  
لأجل بيان شمول الإسلام وأحكامه للشعراء وأقوالهم؟! وقد  
قال سبحانه: «مَا يَلْفَظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ»<sup>(٣)</sup> وقال

(١) البكاء: جمع بكاء، وهو من قل كلامه خلقة.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه (ص ٦٣ - ٦٤).

وقد حاول الدكتور عبدالباسط بدر حمل كلام القاضي الجرجاني على  
محمل حسن في كتابه «مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي».

(٣) سورة ق، الآية: ١٨.

وَيَسْأَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ عَفَا لِأَمْتَى الْخَطَا وَالنَّسِيَانِ وَحَدِيثُ النَّفْسِ مَالِمٌ  
تَعْمَلُ أَوْ تَكَلَّمُ» أي أنها عند الكلام أو العمل ، تجازى على هذا  
الكلام أو العمل إن خيراً فخير وإن شرًا فشر ، ولم يُستثن من ذلك  
شيءٌ ماعدا الخطأ والنسيان وكلام غائب العقل .

ومسألة (علاقة الدين بالشعر) هي مسألة طال فيها الكلام  
وتشعب ، ما بين مؤيد ومعارض منذ أن بدأ الشعراء يمارسون  
تجاوزاتهم الشرعية في أبياتهم الشعرية ، خائضين في ألوانٍ من  
الردة والمعصية<sup>(١)</sup> .

عندها هب أهل الإسلام معنفين لهم وزاجرين عن ركوب  
هذا الشطط ، ومفارقة الإيمان وأهله ، وقابلهم أناسٌ لم يقدروا  
الله حق قدره ، ولم يُعظموا شرعيه ، نَصَبُوا أنفسهم للدفاع عن  
تلük التجاوزات وتبريرها ، ثم مفترين مقوله : أن الدين لا علاقة  
له بالشعر<sup>(٢)</sup> .

(١) يعد أبو بكر الصولي من أوائل من خاض في هذه المسألة عندما تصدى  
للدفاع عن (تجاوزات) أبي تمام في كتابه، «أخبار أبي تمام» قائلاً:  
«ما اظننت أن كفراً ينقص من شعر» (ص ١٧٢).

(٢) وقد أطال الدكتور ناصر الخنيـن في كتابه «الالتزام الإسلامي في الشعر»  
الكلام حول هذه المسألة المهمة (٢٩٥ - ٣١٤) مبيناً تهافت أصحاب =

قال الدكتور ناصر الخنين ملخصاً القول الصواب في هذه القضية<sup>(١)</sup>:

«وهذا الكلام مجمل ينبغي توضيحه وتخصيصه؛ فهناك فرق كبير بين أن يقول شاعر مسلم شعراً فيه كفر وإلحاد ويعلنه ويجاهر به، وبين أن يقول كافر شعراً حسناً لا يحمل معنى الكفر ولا يقود إلى الإلحاد، بل قد يكون فيه خير أو دعوة إليه، وهذا الأخير لا ضير فيه، ولا خلاف في قبول حسنة واستحسانه وسماعه واستنشاده، ولنافي رسول الله ﷺ أسوة حسنة، وذلك حينما استند أشعار أمية بن أبي الصلت وسمعها.

أما الصنف الأول: وهو الأشعار الصادرة عن المسلم، فإن إسلام الشاعر لا يشفع لأشعاره جميعها بأن تكون مُسلمة، لا شيء فيها، أو مستحقة للاستماع، إنما الذي يستحق ذلك ويفوز به أشعاره الحسنة، المستطابة، التي انطلقت من الإسلام واستنارت به، ولم تصادمه أو تناقضه، فهي بلا ريب مقدمة على

هذا القول.

ومثله الدكتور عبدالباسط بدر في كتابه «مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي» فارجع إليهما إن أردت البسط والزيادة.

(١) الالتزام الإسلامي في الشعر (ص ٣٠٢ - ٣٠٣).

أمثالها من أشعار الكفار، وذلك لمزية إسلام قائلها، ولصدق معانيه، ووضوح تصوره - في غالب أحواله - لأنَّه قد استمد هذا الوضوح وذلك الصدق من الإسلام ذاته، لا من خواطره وأهوائه، ولذلك فإنَّ أثرها على المسلمين حينما يسمعونها أو يقرأونها أعظم وأبلغ.

وبذلك يتبيَّن: أنَّ الأشعار الصادرة عن المسلم - وفيها كفر أو سخرية بشيء من شعائر الدين - لا تستحق الاستماع من المسلمين، بل إنَّ نفوسهم تنغلق دونها، وقلوبهم تنقبض منها، فينقص قدرها، ولا يكون لها نصيب من العناية، وإنْ تكن في الذروة الفنية من حيث الصياغة الشعرية.

ولهذا فقد اختلف العلماء في إقامة الحد على الشاعر المسلم فيما لو جاء في شعره بما يوجب الحد الشرعي.

ولا مرية في أنَّ الأشعار التي تحمل الحُبْث والفسق يبوء صاحبها بها وتحور عليه، ولكن لا ينبغي تمكينه هو أو غيره من إشاعة أشعار الفسق والمجون في أوساط المسلمين، حتى لا يشككهم في دينهم، أو يفسد عليهم أبناءهم أو ينال منهم».

وقال حفظه الله<sup>(١)</sup> :

«ولو كان الشعر ضرباً من الخيال أو نوعاً من العبث  
اللفظي الذي لا يلقى له بال، ولا يحمل معنى ولا يؤدي إليه، ولا  
يؤخذ صاحبه عليه - لما أغار الرسول عليه أفضل الصلاة  
والتسليم، اهتمامه إلى شراء قريش، ولما ألقى لأشعارهم  
بالأ، حينما هجوه وعابوا عليه دعوته... ولكن الأمر في ذلك  
مختلف؛ فقد أهدر دم الذين هجوه، وأمر شراءه بالرد عليهم،  
والنيل منهم، جزاءً وفاقاً.

وهل الدين: إلا أوامر وزواجر؟ فكيف يقال بعد ذلك  
كله: (إن الدين بمعزل عن الشعر؟)، اللهم إلا إذا كان لدى قائل  
ذلك أو من يُسلّم بمذهبه تأويل ساعغ لكل ما تقدم، يغضده  
الدليل ويشفع له التعليل، فإذا لم يكن ثمّ شيء من ذلك فقد  
بطلت تلك النتيجة وسقط ذلك الزعم، بفساد مقدماته وانعدام  
بياناته».

أقول بعد هذا: إن بيت المتنبي:

يترشفن من فمي رشفات

هن فيه أحلى من التوحيد

(١) المصدر السابق (ص ٣٠٦).

هو من الآيات التي عابه عليها العلماء والنقاد الذين يعلمون خطورة الدفاع عن من يحاد الله في شعره، متذكرين قوله تعالى: ﴿ هَتَّا نُسُمْ هَتُولَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَسِيلًا ﴾<sup>(١)</sup>.

قال التوحيدى فى شرحه لهذا البيت:

«يقول: كن بمصصن ريقى لحبهن إياى، كانت تلك الرشفات أحلى فى فمى من كلمة التوحيد؛ وهي لا إله إلا الله، وهذا إفراط وتجاوز حد»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن رشيق فى «العمدة»<sup>(٣)</sup>:

«إذا صرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلوأ، وأبعدهم فيه همة، حتى لو قدر ما أخلى منه بيتأ واحداً، وحتى تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غنى، وله في غيره مندوحة، كقوله: يترشفن من فمى رشفات هُنَّ فيه أحلى من التوحيد»  
وقال ابن القيم -رحمه الله-:

«فتتأمل حال أكثر عشاق الصور تجدها مطابقة لذلك، ثم ضع حالهم في كفة، وتوحيدهم وإيمانهم في كفة، ثم زن وزناً

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٩.

(٢) (ص ٣٠).

(٣) (٦٣/٢).

يرضى الله به ورسوله، ويطابق العدل، وربما صرّح العاشق منهم بأنّ وصل معشوقه أحب إلّيه من توحيد ربه، كما قال الفاسق الخبيث:

يترشّن من فمي رشفاتٍ هنَّ فيه أحلى من التوحيد<sup>(١)</sup>

٢ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

كُلُّ شيءٍ من الدماء حرامٌ شربه ما خلا ابنة العنقدود  
فاسقنيها فدى لعينيك نفسِي من غزالٍ طارفٍ وتليدٍ  
 فهو هنا يُحلل شرب الخمر التي يسمّيها (ابنة العنقدود)،  
وهذا من التقول على الله بلا علم، بل هو تحليلٌ لما حرم الله  
واعتراضٌ على حكمه تعالى.

وتحريم الخمر ليس مما يُجهل، فهي محرمة بنص الكتاب، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ  
وَالْأَنَصَابُ وَالْأَرْتَالُمْ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَنِ فَاجْهِنْبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup> إِنَّمَا  
يُرِيدُ الشَّيْطَنُ أَنْ يُوَقِّعَ بِيَنْتَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدُّكُمْ

(١) الجواب الكافي لمن سأله عن الدواء الشافعي (ص ٣٥٤) ط دار ابن كثير.

(٢) ديوانه (٦٤/١).

عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الْأَصَلَوَةِ فَهَلْ أَنْتُ مُنْهَوْنَ ﴿٩١﴾ .<sup>(١)</sup>

وتحليل الذي عُلم تحريمه بالضرورة من دين هو من الأعمال (الكافرية) التي هوى صاحبها في حفرة سببية قادته إليها نفسه المتعالية المتكبرة على شرع الله وأوامره.

٣- ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

أَبْدَا أَقْطَعَ الْبَلَادَ وَنَجَمَيِ فِي نُحُوسِ وَهَمْتِي فِي سَعُودِ  
فَهُوَ هُنَا يُؤْمِنُ بِالنَّجُومِ وَأَنْ لَهَا تَأثيرًا فِي أَقْدَارِ الْبَشَرِ وَهَذَا  
مِنَ الظَّلَالِ الْمُبَيِّنِ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النَّجُومِ  
اقْتَبَسَ شَعْبَةً مِنَ السُّحْرِ، زَادَ مَازَادًا»<sup>(٣)</sup>.

والعجب أن المتنبي قد ناقض قوله هذا في شعر آخر له يقول فيه<sup>(٤)</sup>:

فَتَبَأَ لِدِينِ عَبِيدِ النَّجُومِ وَمَنْ يَدْعُونِي أَنْهَا تَعْقِلُ  
وَلَكِنَّهَا أَخْلَاقُ الشَّعْرَاءِ الَّذِينَ يَهِيمُونَ فِي كُلِّ وَادٍ مِنَ الْقَوْلِ  
دُونَ ضَوَابِطٍ أَوْ تَذَكَّارٍ لِمَا سَلَفَ مِنْهُمْ، فَقَوْلُ أَمْسٍ مَنْقُوضٌ بِقَوْلِ  
الْيَوْمِ.

(١) سورة المائدة، الآيات: ٩١، ٩٠.

(٢) ديوانه (٦٤/١).

(٣) أخرجه أحمد وأبوداود وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٧٤).

(٤) ديوانه (٥٩/٢).

مَا وَمِنْهَا قَوْلَهُ<sup>(١)</sup>:

فاطلب العَزَّ في لظى ودع الذَّلِّ ولو كان في جنَانِ الخلودِ

وهذا امتحان لجنة الخلد الذي وعد الرحمن عباده بالغيب،  
وهو يعلم أن من دخل الجنة فإنه لا يصيبه فيها ذل ولا خزي، بل هو  
عزيز في الدنيا وعزيز في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ  
وَلِرَسُولِهِ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما داخِل النار فإنه في ذل وهو ان، قال تعالى عن  
 أصحاب النار: ﴿وَرَأَتْهُمْ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا خَشِعِينَ مِنَ الْذُّلِّ يَنْظُرُونَ  
مِنْ طَرْفٍ خَفِيًّا﴾<sup>(٣)</sup>.

ومن كان منهم عزيزاً في الدنيا فإن عز الموهوم ينقلب ذلاً  
 وخزياً يوم القيمة، وفي ذلك يقول الله عن (كبار) أهل النار  
﴿ذُقْ إِذْكُ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾<sup>(٤)</sup>. أي في الدنيا، وهذا  
من باب السخرية به، وزيادة حسرته عندما يتذكر عزه السابق.

قال ابن كثير: «أي قولوا له ذلك على وجه التهكم والتوبخ»<sup>(٥)</sup>.

(١) ديوانه (٦٤/١).

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٨.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٤٥.

(٤) سورة الدخان، الآية: ٤٩.

(٥) تفسير ابن كثير (١٥٧/٤).

٥- ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup> :

أنا في أمة تداركها الله غريب كصالح في ثمود  
وهذا القول منه من باب التمازج الذي عُرف به الشاعر،  
وإلا فكيف يشبه هذا الشاعر المسرف نفسه بنبي الله صالح - عليه  
السلام -؟!

٦- وامن ذلك قوله<sup>(٢)</sup> :

لم يخلق الرحمن مثل محمد أحداً وظني أنه لا يخلق  
ولقد صدق الشاعر في هذا القول لو كان يقصد بمحمد  
الممدوح رسول الله ﷺ، فإنه أفضل الخلق بلا شك كما قال  
ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»<sup>(٣)</sup>.

ولكن الشاعر يقصد بمحمد هذا ممدوحه.  
وهذا القول : كذب عظيم ، وغلو فاحش ، لا يتفوّه به  
مسلم ، وهو من الافتئات على الله عز وجل .  
ولكن : قد قلت - سابقاً - بأن المتنبي يرتكب العظام في  
سبيل تحقيق طموحاته الدنيوية الدنيئة .

(١) ديوانه (٦٥/١).

(٢) ديوانه (٧٢/١).

(٣) أخرجه البخاري.

٧- ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

ألا كل سمح غيرك اليوم باطلٌ وكل مدحٍ في سواك مُضيئٌ  
وقد كذب الشاعر، فإن مدح الله عز وجل، ومدح رسle -  
عليهم الصلاة والسلام - ليس بمضيء، بل هو مما يَدْخِرُه الإنسان  
لنفسه في الآخرة، وقد قال ﷺ لأحد الشعراء لما قال: «إنني قد  
حمدت ربِّي عز وجل بمحامد ومدح» قال ﷺ: «أما إن ربِّك عز  
وجل يحب المدح»<sup>(٢)</sup> أي يحب من عبده أن يمدحه ويحمده،  
فيثبته على ذلك ولا يُضيءه.

٨- ومن ذلك قوله<sup>(٣)</sup>:

يامن ألوذُ به فيما أؤمله ومن أعود به مما أحاذره  
لا يجبر الناسُ عظماً أنت كاسره ولا يهیضون عظماً أنت جابره  
وهذا القول لا يصلح إلا في حق الله تعالى، فهو الملاذ  
والمستعاذه وهو الذي لا يجبر الناس من كسر، ولا يهیضون من  
جبر. قال شيخ الإسلام في هذين البيتين: «إنما يصلح هذا

(١) ديوانه (١/٧٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٤٣٥) وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد  
(٦٦٠).

(٣) ديوانه (١/٨٧).

لجناب الله سبحانه وتعالى»<sup>(١)</sup>.

٩- ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

أنى يكون أبا البرية آدم وأبوك والثقلان أنت محمد  
يفنى الكلام ولا يحيط بفضلكم أيحيط مايفنى بما لا ينفد  
وهذا من الغلو الفاحش في المدح ، والذي لا ينفد فضله  
هو الله سبحانه وتعالى ، قال عز وجل : «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ  
بَاقٍ»<sup>(٣)</sup>.

١٠- ومن ذلك قوله<sup>(٤)</sup>:

دعوتك عند انقطاع الرجاء والموت مني كحبيل الوريد  
دعوتك لما براني البلاء وأوهن رجلي ثقل الحديد  
والمسلم الحق يتتجىء إلى الله عز وجل عند الكُرب  
ويدعوه عند انقطاع رجائه بالناس ، قال تعالى : «أَمَّنْ يُحِبُّ  
الْمُضْطَرَ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْسِفُ السُّوءَ»<sup>(٥)</sup>.

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٢٧٥/١).

(٢) ديوانه (٩٤/١).

(٣) سورة النحل ، الآية: ٩٦.

(٤) ديوانه (٩٨/١).

(٥) سورة النمل ، الآية: ٦٢.

١١- ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

يا من نلوذ من الزمان بظله أبداً ونطرد باسمه إبليس  
والذي يُطرد إبليس باسمه هو المولى عز وجل، قال تعالى : «إِذَا قرأتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»<sup>(٢)</sup>.  
وقال ﷺ: «إِذَا نوَّدَيْتَ الصَّلَاةَ أَدْبَرَ الشَّيْطَانَ وَلَهُ صُرَاطٌ حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ»<sup>(٣)</sup> فالشيطان يُطرد بذكر الله - تعالى -.  
وهذا البيت من حقه أن يُقال في الله عز وجل وذكره، لا في  
بشرٍ قد يكون ممن قد تلاعب به الشيطان يمنة ويسرة.

١٢- ومن ذلك قوله<sup>(٤)</sup>:

أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى  
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى  
أو كان للنيران ضوء جبينه عبدت فكان العالمون مجوساً  
وهذه الأبيات من السخرية بمعجزات الأنبياء وعدم حفظ  
مكانهم عليهم السلام.  
فالمتنبي يزعم - وهو كاذب - أن سيف الممدوح لو ضرب

(١) ديوانه (١٠٣/١).

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٨.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) ديوانه (١٠٢/١).

بـه عازر<sup>(١)</sup> لـما استطاع عيسى عليه السلام أـن يحيـيه! وـنسـي الشـاعـر أـن أحـيـاه عـلـيـه السـلام كـان بـإـذـن الله لا بـإـذـنـه. قـال تـعـالـى عـن عـيسـى - عـلـيـه السـلام - أـنـه قـال: ﴿وَأَتـيـتـي الـمـوـقـع بـإـذـنـ الله﴾<sup>(٢)</sup>. وهـكـذا اـنـشـقـاقـ الـبـحـر لـمـوسـى - عـلـيـه السـلام - هـو بـإـذـن الله.

١٣- ومن ذلك قوله<sup>(٣)</sup>:

وـكـأنـما عـيسـى بن مـريـم ذـكرـه وـكـأنـ عـازـر شـخـصـه المـقـبـورـ وهذا من اـحـتـقارـ الـأـنـبـيـاء - عـلـيـهم السـلام - عـنـدـمـا يـشـبـه مـمـدوـحـيـه بـهـمـ.

١٤- ومن ذلك قوله<sup>(٤)</sup>:

فـأـعـيـذ إـخـوـتـه بـربـ مـحـمـدـ أـنـ يـحزـنـوا وـمـحـمـدـ مـسـرـورـ أوـ يـرـغـبـوا بـقـصـورـهـمـ عـنـ حـفـرـةـ حـيـاهـ فـيـهـا مـنـكـرـ وـنـكـيرـ

(١) عـازـر - كـما يـقـولـ النـصـارـى - هـوـ الرـجـلـ الـذـي أـحـيـاهـ عـيسـى - عـلـيـهـ السـلام - لأنـهـ صـدـيقـهـ، وـهـذـاـ منـ الإـسـرـائـيلـيـاتـ الـتـيـ لاـ تـصـدـقـ ولاـ تـكـذـبـ (انـظـرـ: تـفـسـيرـ القرـاطـبـيـ ٩٤/٤) وـقدـ فـتـنـ شـعـراءـ الـحـدـاثـةـ مـنـ يـدـعـونـ الإـسـلامـ بـعـازـرـ هـذـاـ، وـجـعـلـوهـ رـمـزاـ فـيـ أـشـعـارـهـمـ لـكـلـ اـنـبـاعـاتـ بـعـدـ الـمـمـاتـ تقـليـداـ مـنـهـمـ لـشـعـراءـ النـصـارـىـ.

(٢) سـوـرـةـ آـلـ عـمـرـانـ، الـآـيـةـ: ٤٩ـ.

(٣) دـيـوـانـهـ (١١٧/١).

(٤) دـيـوـانـهـ (١١٨/١).

وهذا القول من الافتراء وادعاء علم الغيب، حيث يزعم أن هذا الميت سيحييه منكر ونکير في قبره! وهو بهذا القول يزعم أنه يعزي ويواسي أهله.. وكان الأخرى به أن يعزى لهم بما ثبت في السنّة الصحيحة، من الدعوة إلى الصبر والرضا بالقدر.

١٥ - ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

ملكُ تكونَ كيْفَ شاءَ كأنما يجري بفضلِ قضائهِ المقدورُ  
وهذا ادعاء سخيف، حيث يزعم أن القدر يوافق ممدوحه في كل ما يريد. وهذه لم تكن للأنبياء وهم أشرف الخلق وأفضلهم، فكيف بغيرهم ممن قد يكون من السفلة؟! وقد قال تعالى لأشرف خلقه ﴿اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَّكَنْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَنَّى السُّوءُ﴾<sup>(٢)</sup>.

١٦ - ومن ذلك قوله<sup>(٣)</sup>:

فما ترزق الأقدار من أنت حارمٌ ولا تحرم الأقدار من أنت رازق وهذا القول لا يصلح إلا لله عز وجل، فهو الذي إذا أراد رزق عبد من عباده فلن يحرمه أحدٌ هذا الرزق، وإذا أراد حرمانه

(١) ديوانه (١١٩/١).

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٨.

(٣) ديوانه (١٢٢/١).

منه فلن يرزقه سوي الله . قال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضَرٍّ فَلَا  
كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ أَوْ إِن يُرِدَكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ ﴾<sup>(١)</sup> .

١٧ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup> :

إن المنية لو لاقتهم وقفوا خرقاء تهم الإقدام والهربا  
وهذا غلو قد تجاوز الحد ، حيث يزعم أبو الطيب أن  
الموت يفرق ويحاف من ممدوحيه ، والله قد أخبرنا بأن الناس  
هم الذين يفرون من الموت الذي هو ملاقيهم لا محالة ﴿ قُلْ إِنَّ  
الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ إِنَّمَا مُلَقِّبُكُمْ بِهِ ﴾<sup>(٣)</sup> .

١٨ - ومن ذلك قوله<sup>(٤)</sup> :

ولو يممتهم في الحشر تجدوا لأعطيوك الذي صلوا وصاموا  
وهذا كذب من القول لا يجيده غير الشعراء ! فهو يخبر عن  
كرم ممدوحيه بأنه قد تجاوز الحد ، وأنك لو استمنحتهم شيئاً  
يوم الحشر ، فإنهم - من شدة كرمهم - سيعطونك صلاتهم  
وصيامهم !! والله يقول عن ذلك اليوم العظيم : ﴿ يَوْمَ يَغْرُبُ  
الْأَنْجِو <sup>٢٤</sup> وَأَمْهِ وَأَيْه <sup>٢٥</sup> وَصَنْجِيَهُ وَبَنِيَه <sup>٢٦</sup> لِكُلِّ أَمْرٍ  
مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَانٌ ﴾

(١) سورة يونس ، الآية : ١٠٧ .

(٢) ديوانه (١٤٣ / ١) .

(٣) سورة الجمعة ، الآية : ٨ .

(٤) ديوانه (١٤٧ / ١) .

يُقْبَلُهُ<sup>(١)</sup>

١٩ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup> :

وأعطيت الذي لم يعط خلقٌ عليك صلاة ربك والسلام  
وهذا القول لا يصلح إلا لنبينا محمد ﷺ فهو الذي أعطي  
مالم يعط خلقٌ غيره، فقد قال ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن  
نبي قبلٍ»<sup>(٣)</sup> وهو الذي يصلى عليه ويُسلم، هو وأخوانه الرسل  
عليهم الصلاة والسلام، وأما غيرهم فلا يخص بصلوة أو سلام.  
قال ابن القيم رحمه الله بعد ذكره الخلاف في هذه

المسألة :

«وفصل الخطاب في هذه المسألة: أن الصلاة على غير  
النبي ﷺ؛ إما أن تكون على آله وأزواجه وذراته أو غيرهم، فإن  
كان الأول؛ فالصلاحة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي ﷺ،  
وجائزة مفردة.

وأما الثاني: فإن كان الملائكة وأهل الطاعة عموماً الذين  
يدخلون فيهم الأنبياء كلهم وغيرهم؛ جاز ذلك أيضاً، فيقال:

(١) سورة عبس، الآيات: ٣٤ - ٣٧.

(٢) ديوانه (١٤٨/١).

(٣) أخرجه البخاري ، ومسلم.

«اللهم صل على ملائكتك المقربين وأهل طاعتك أجمعين»، وإن كان شخصاً معيناً، أو طائفة معينة؛ كره أن يتخذ الصلاة عليه شعاراً لا يخل به. ولو قيل بتحريم لكان له وجه. ولا سيما إذا جعله شعاراً له، ومنع منه نظيره، أو من هو خير منه، وهذا كما تفعل الرافضة بعلي رضي الله عنه حيث ذكروه قالوا: عليه الصلاة والسلام، ولا يقولون ذلك فيما هو خير منه، فهذا ممنوع لا سيما إذا اتّخذ شعاراً لا يخل به، فتركه حينئذ متّعين، وأما إن صلّى عليه أحياناً بحيث لا يجعل ذلك شعاراً كما يصلّى على دافع الزكاة، وكما قال ابن عمر للّميّت:

«صلّى الله عليه»، وكما صلّى النبي ﷺ على المرأة وزوجها، وكما روي عن علي من صلاته على عمر، فهذا لا يأس به.

وبهذا التفصيل تتفق الأدلة، وينكشف وجه الصواب،  
والله الموفق»<sup>(١)</sup>.

٢٠ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

فلقد دهشت لما فعلت ودونه ما يدهش الملك الحفيظ الكاتبا

(١) جلاء الأفهام (ص ٦٦٣ - ٦٦٤) تحقيق: مشهور سلمان.

(٢) ديوانه (١٥٧/١).

وهذا افتراء على ملائكة الله الكرام، حيث زعم أنها تدھش من أفعال ممدوح المتنبی! والكتبة الحافظون لا يدھشون، وإنما يحصون أعمال بني آدم عليهم. قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدِيْهِ رَبِيبٌ عَيْدٌ﴾<sup>(۱)</sup>. وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحْفَظِينَ﴾<sup>(۲)</sup> كِرَاماً كَثِيرَنَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿۱۷﴾.

٢١ - وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ<sup>(٣)</sup>:

نفذ القضاء بما أردت كأنه لك كلما أزمعت أمراً أزمعا  
والقضاء لم يجر بما يشتهي أنبياء الله - عليهم الصلاة  
والسلام - فكيف بمن سواهم ممن يزعم المتنبئ أن القضاء ينفذ  
حسب ما يريدون !؟

٢٢ - وَمِنْ ذَلِكَ قُولَهُ<sup>(٤)</sup>:

(١) سورة ق، الآية: ١٨.

(٢) سورة الانفطار، الآيات: ١٠ - ١٢ .

دیوانه (۱/۱۶۴) (۳)

(٤) دیه آنه (۱/۱۶۶)

٢٣ - ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

رجلٌ طينه من العنبر الورد    وطينُ العباد من صلصال  
فبقيات طينه لاقت الماء    فصارت عذوبة في الزلال  
وهذا من غلوه المعتمد في ممدوحه في تصويرهم بصورة  
غير البشر الآخرين؛ فاقصدأهباتهم وعطایاهم!

٢٤ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

طلبنا رضاه بترك الذي    رضينا له فتركنا السجودا  
فقد رضي المتنبي أن يسجد لممدوحه - والعياذ بالله -  
والسجود - كما هو معلوم - لا يجوز لغير الله ، وعندما عاد معاذ -  
رضي الله عنه - من اليمن وكان قد شاهدهم يسجدون لعظمائهم ،  
أراد أن يسجد لرسول الله ﷺ فنهاه النبي ﷺ عن ذلك<sup>(٣)</sup>.

٢٥ - ومن ذلك قوله<sup>(٤)</sup>:

لو كان علمك بالإله مقسماً    في الناس ما بعث الإله رسولًا  
لو كان لفظك فيهم ماأنزل إلـ    فرقان والتوراة والإنجيلـ

(١) ديوانه (١٦٨/١).

(٢) ديوانه (١٧٧/١).

(٣) أخرجه أحمد وابن ماجه، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٠٣).

(٤) ديوانه (١٩٢/١).

وهذا غلوٌ فاحش ، وقول (كفري) يقشعر جلد المؤمن من سماعه ، حيث زعم الشاعر لمدحه أن علمه كعلم الأنبياء ، وأن لفظه كالقرآن والإنجيل والتوراة ! ! نعوذ بالله من الكفر والضلال .

٢٦ - ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup> :

متى أحصيتُ فضلك في كلام فقد أحصيتُ حبات الرمال وإن بها وإن به لنقصاً وأنت لها النهاية في الكمال وهذا من الغلو في المدح ، وإلا فإن النهاية في الكمال ليست إلا لله عز وجل ، فهو سبحانه «السيد الذي كمل في سؤده» ، العليم الذي قد كمل في علمه ، والحكيم الذي قد كمل في حكمته ، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد»<sup>(٢)</sup> .

٢٧ - ومن ذلك قوله<sup>(٣)</sup> :

يابدر إنك والحديث شجون من لم يكن لمثاله تكوين لعظمت حتى لو تكون أمانة ما كان مؤتمناً بها جبرين وهذا القول فيه تنقص من جانب جبريل - عليه السلام -

(١) ديوانه (١٩٤/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٦٠٩ - ٦١٠).

(٣) ديوانه (٢٠١/١).

الذى أخبر الله عنه بأنه: ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ ٢٠ ﴾ مطاع ثم  
أمين <sup>(١)</sup> .

فالله عز وجل قد أخبرنا بأمانة جبريل - عليه السلام - وأنه غير متهم ، والمتنبي يزعم أنه قد يخون الأمانة ! وهذا القول من الأقوال (الكافرية) ، ولا يشك في هذا مسلم .

٢٨- ومن ذلك قوله <sup>(٢)</sup> :  
ما يرجى أحدٌ لمكرمة إلا إله وأنت يا بدر  
لقد أخطأ المتنبي عندما ساوي بين ممدوحه وبين الله عز  
وجل بحرف (الواو) الذي يقتضي المشاركة والمساواة ، وكان الصواب أن يعطف بحرف (ثم) الذي ينزل المخلوق عن رتبة الخالق عز وجل . وعندهما قال رجل للنبي ﷺ: ماشاء الله وشئت ، قال له ﷺ: «أجعلتني الله نداً» <sup>(٣)</sup> .

٢٩- ومن ذلك قوله <sup>(٤)</sup> :  
حسبك الله ماتضل عن الحق ولا يهتدي إليك آثام

(١) سورة التكوير ، الآيات: ٢٠ ، ٢١ .

(٢) ديوانه (٢٠٧ / ١) .

(٣) أخرجه أحمد ، وصححه الألباني في صحيحه (١٣٩) .

(٤) ديوانه (٢١١ / ١) .

فهو يدعى العصمة لممدوحه ، فهو دائمًا على الحق ، وهو دائمًا لا يرتكب الآثام !

٣٠ - ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup> :

فأصبحتُ أستسقي الغمام لقبرها    وقد كنتُ أستسقي الوغى والقنا الصُّمَّا  
 وأحوال القبور وساكنوها لا تؤثر فيهم الأمطار ولا  
 السيول ، وإنما هي رحمة الله عز وجل ثم العمل الصالح ، فمن  
 عمل خيراً فُسح له في قبره وأتاه من الجنة مايسره ولو كان مدفوناً  
 وسط صحراء محرقه ، ومن عمل شرًا ضيق عليه في قبره ، وأتاه  
 من سعوم النار مايسوه ، ولو كان مدفوناً وسط حدائق ذات  
 بهجة .

وقد أخبر ﷺ عن المؤمن بعد موته بأنه «يُفسح له في قبره  
 مذ بصره» وأما الكافر والمنافق فإنه : «يُضيق عليه قبره حتى  
 تختلف فيه أضلاعه»<sup>(٢)</sup> نسأل الله العفو والعافية .

٣١ - ومن ذلك قوله<sup>(٣)</sup> :

(١) ديوانه (٢١٩/١).

(٢) أخرجه أبو داود وغيره ، وصححه الألباني في «أحكام الجنائز»  
(ص ١٥٩).

(٣) ديوانه (٢٢٥/١).

وأما وحقك وهو غاية مقسم للحق أنت وما سواك الباطل وهذا قسم بغير الله ، وهو شرك أصغر حذرنا منه رسول الله ﷺ بقوله : «من حلف بغير الله فقد أشرك» وقال ﷺ : «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت» وقال ابن مسعود - رضي الله عنه - : «لأن أحلف بالله كاذباً خيراً من أحلف بغير الله صادقاً» وهذا من كمال فهمه - رضي الله عنه - لأن الحلف بالله كذباً معصية ، والحلف بغيره ولو كان المرء صادقاً فيه شرك ، وفرق فيما بينهما .

والقسم بغير الله هو مما تساهل فيه الشعراء قديماً وحديثاً فهم يُقسمون بالمحبوب وبصفاته الخلقية والخلقية قاصدين تعظيمه بزعمهم .

٣٢- ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup> :

وترى المروءة والفتوة والأبوة في كل مليحة ضراتها هن الثلاث المانعات لذتي في خلوتي لا الخوف من تبعاتها فقد صرخ المتنبي هنا أن الذي يمنعه من اللذات ليس الخوف من الله عز وجل ، وإنما هو المروءة والفتوة والأبوة . وكان الأجر به أن يتمتنع عن اللذات خوفاً من الله ليُكتب له أجر

(١) ديوانه (١) / ٢٣٠ .

هذا الامتناع . قال تعالى : ﴿ وَمَمَّا مَنْ حَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفَسُ عَنِ الْمَوْىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَاوَىٰ ﴾ (١) :

٣٣ - و من ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

فأَجِرْكَ إِلَهٌ عَلَى عَلِيٍّ بَعَثْتُ إِلَيْهِ مُسْتَحْيِيْبًا  
وَهَذَا يَلْحُقُ بِسَابِقِهِ، فَفِيهِ تَنْقُصٌ لِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ  
- عِنْدَمَا يَشْبَهُهُمْ بِغَيْرِهِمْ، أَوْ يَبْتَذِلُ ذِكْرَهُمْ.

٤٣- وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ<sup>(٣)</sup>:

يُبَيِّنُ بِهِ رِبُّ الْمَعَالِيِّ كَمَا يَكُمْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
وَالذُّنُوبُ لَا تُغْفَرُ بِأَحَدٍ، إِنَّمَا يَغْفِرُهَا اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ، قَالَ  
تَعَالَى: «وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ» <sup>(٤)</sup>.

٣٥ - ومن ذلك أنه يعتقد أن علياً رضي الله عنه هو الوصي  
بعد رسول الله ﷺ، وهذه عقيدة الشيعة الإمامية والزيدية، يقول  
المتنبي في مدح طاهر بن الحسين<sup>(٥)</sup>:

(١) سورة النازعات، الآيات: ٤٠ - ٤١.

(۲) دیوانه (۱/۲۴۱).

(۳) دیوانه (۱/۲۶۱).

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥

دیوانه (۱) / (۲۷۰)

هو ابن رسول الله وابن وصييه وشبيههما شبهاً بـهُ بعد التجارب

٣٦ - وهو يذم أحد الأموات الذين يبغضهم بقوله<sup>(١)</sup>:

قالوا لنا: مات إسحاق! فقلت لهم:  
هذا الدواء الذي يشفى من الحُمُق  
أو عاش عاش بلا خلقٍ ولا خلقٍ  
خون الصديق ودس الغدر في الملقي  
مطرودة ككعوب الرمح في نسقٍ  
خلواً من الباس مملوءاً من الترقِ  
لا تستقر على حال من القلقِ  
فتكتسي منه ريح الجورب العرقِ  
موتاؤ قاتليه كيف مات لهم  
وهذا القول دليل على وقاحة المتنبي، حيث تعرض  
للأموات في قبورهم بهذا الهجاء المزء، والرسول ﷺ يقول: «إذا  
مات صاحبكم فدعوه. لا تقعوا فيه»<sup>(٢)</sup>.

٣٧ - ومن ذلك قوله<sup>(٣)</sup>:

(١) ديوانه (١/٢٧٥).

(٢) أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٥). أما حديث  
«الذكروا محسن موتاكم» فضعيف.

(٣) ديوانه (١/٢٧٨).

مارآها مكذب الرسل إلا صدق القول في صفات البراق  
 فهو يشبه فرسه بالبراق الذي ركبه رسول الله ﷺ ليلة  
 الإسراء والمعراج، وقال ﷺ عنه بأنه: «فوق الحمار ودون  
 البغل، يقع خطوه عند انقضاء طرفه...»<sup>(١)</sup>.  
 فالبراق خلق من خلق الله لا يشابهها شيء من حيوانات  
 الدنيا، مهما ادعى المتنبي خلاف ذلك.

٣٨- ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

ياراحلاً كلُّ من يودعه مسودعٌ دينه ودنياه  
 والراحل أو المسافر لا يأخذ معه إلا دينه هو، أما دين  
 المؤدعين فهو باقي معهم؛ لأنَّه مجموعة من الأقوال والأعمال  
 الملازمة للإنسان.

وقد أمر ﷺ أن يُقال للمسافر عند سفره «استودع الله دينك  
 وأmantك وخواتيم عملك»<sup>(٣)</sup> لأنَّه يحتاج إلى أن يحفظ الله دينه  
 في سفره، لأنَّ يحفظ هو دين الآخرين، كما يزعم المتنبي!

٣٩- ومن ذلك قوله<sup>(٤)</sup>:

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) ديوانه (١/٢٩٠).

(٣) أخرجه أبو داود وغيره وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٢٦٥).

(٤) ديوانه (٢/٥٣).

لحبث ابن عبدالله أولى فإنه به يبدأ الذكر الجميل ويختتم  
والذي يبدأ به الذكر الجميل ويختتم: الله - عز وجل - فقد  
علمنا رسوله ﷺ أن نبدأ أعمالنا باسمه تعالى، وعلمنا أن نختتم  
ذلك بذكره تعالى، سواء بالحمد أو الاستغفار.

٤٠ - ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

فلا موت إلا من سنانك يتقى   ولا رزق إلا من يمينك يُقسم  
وأسباب الموت كثيرة، كما قيل:  
تعدد الأسباب والموت واحد  
لاكما يزعم المتنبي بأنه لا موت إلا من سنان ممدوحه.

وأما الرزق فهو من عند الله عز وجل، قال سبحانه:

﴿فَأَبْشِغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَأَعْبُدُوهُ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال: ﴿هَلْ مِنْ خَلِيقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَافْتَرُّ ثُوقَكُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.  
ويصدق على المتنبي قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْسِكُرُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. فهو يعلم أن لا رازق

(١) ديوانه (٥٦/٢).

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

(٣) سورة فاطر، الآية: ٣.

(٤) سورة النحل، الآية: ٨٣.

إلا الله، ثم هو ينسب ذلك إلى غيره.

٤١ - ومن ذلك قوله عن خيمة سيف الدولة<sup>(١)</sup> :

فما اعتمد الله تقويضها ولكن أشار بما تفعل  
وهذا من الافتراء على الله أنه أراد تقويضها قاصداً توجيه  
سيف الدولة إلى ملاقاًة أعدائه !

٤٢ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup> :

ولست أبالي بعد إدراكي العلى أكان تراثاً ماتناولتُ أم كسباً  
 فهو يهدف إلى العلّى ، سواء ورثه من آبائه أو كان كسباً له  
قد اجتهد في تحصيله ، وهذا العلّى الذي يعنيه المتنبي هو علو  
الصيت بين الناس ، وتولي الضياع والإمارات ، فهو الذي أجهد  
فيه نفسه ، وضياع عمره - كما سبق - .

٤٣ - ومن ذلك قوله في ممدوده<sup>(٣)</sup> :

الذي ليس عنه مُغنٍ ولا منه بديل ولا لما رام حام  
وهذا القول لا يصلح إلا لله عز وجل ، فهو الذي ليس عنه  
مغنٍ ولا منه بديل . كما قال عليه السلام : «الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه

(١) ديوانه (٥٨/٢).

(٢) ديوانه (٧٧/٢).

(٣) ديوانه (١٠٣/٢).

غير مكفي ولا موَّعٌ ولا مستغنٍ عن ربنا<sup>(١)</sup>.

٤٤ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

فمن أحب لاعصينك في الهوى قسماً به وبحسناته وبهائمه  
وهذا قسمٌ بغير الله، وقد مضى أنه محَرَّم.

٤٥ - ومن ذلك قوله<sup>(٣)</sup>:

وكيف تعلك الدنيا بشيء وأنت لعلة الدنيا طبيبُ  
وهذا من الغلو في المدح، حيث جعل ممدوحه طبيباً  
(الجميع) علل الدنيا، وهذا لا يكون إلا لله عز وجل، فهو  
«الطيب»<sup>(٤)</sup> سبحانه، وهو الذي يشفى عباده، ويصلح  
أحوالهم، كما قال إبراهيم - عليه السلام - ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>(٥)</sup>.

٤٦ - ومن ذلك قوله<sup>(٦)</sup>:

(١) أخرجه البخاري (٩/٥٨٠ فتح).

(٢) ديوانه (٢/١٠٣).

(٣) ديوانه (٢/١١٥).

(٤) ورد هذا في قوله ﷺ: «الله الطيب» أخرجه أبو داود وصححه الألباني في الصحيحه (١٥٣٧).

(٥) سورة الشعرا، الآية: ٨٠.

(٦) ديوانه (٢/١٢٣).

تظل ملوك الأرض خاشعة له تفارقه هلكى وتلقاه سجدا  
والسجود لغير الله لا يجوز - كما سبق - .

٤٧ - ومثله قوله<sup>(١)</sup> :

تخر له القبائل ساجدات وتحمده الأسنة والشفار  
٤٨ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup> :

وما لاقني بلدُ بعْدَكُم ولا اعتضت من رب نعماي برب  
ونقول لأبِي الطيب: حتى الله لم تعтин به عن  
ممدوحك؟! قال تعالى: ﴿وَمَا يُكُمْ مِنْ قِيمَةٍ فَهِيَ اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup> فهو  
سبحانه رب النعم الذي يستحق التمجيد والتفرد بهذا المدح .

٤٩ - ومن ذلك قوله<sup>(٤)</sup> :

أيا سيف ربك لا خلقه وبها ذا المكارم لا ذا الشطب  
كيف يزعم المتنبي أن سيف الدولة الحمداني هو سيف  
الله؟!

وهل كان سيف الدولة يقاتل الأعداء دفاعاً عن دين الله عز

(١) ديوانه (٢/١٥٦).

(٢) ديوانه (٢/١٩٨).

(٣) سورة النحل، الآية: ٥٣.

(٤) ديوانه (٢/١٩٨).

وجل ، أم كان دفاعاً عن أرضه ودياره؟! والحق أنه لا يُطلق هذا اللقب (سيف الله) إلا على من أطلقه رسول الله ﷺ عليه ، كخالد بن الوليد - رضي الله عنه -<sup>(١)</sup> أما غيرهم فلا ندرى أكانوا سيفاً لله أم سيفاً للمصالحهم ودولتهم؟!

٥٠ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup> :

أغایة الدين أن تحفوا شواربكم يا أمّةٌ ضحكت من جهلها الأمم  
ونحن نعلم - كالمتنبي - أن الدين ليس غايته إحفظاء  
الشوارب ، إنما هي سُنة وردت عن رسول الله ﷺ قوله : «احفوا  
الشوارب»<sup>(٣)</sup> فمن عمل بها فقد فاز بالأجر والمغنم . ومن  
خالفها فقد خالف سُنة النبي ﷺ ، ومع ذلك لا يجوز لنا ولا لأبي  
الطيب أن يسخر من هذه السُّنة النبوية بهذا القول الذي يوحى  
باحتقارها .

٥١ - ومن ذلك قوله<sup>(٤)</sup> :

فتمليك دلير وتعظيم قدره شهيد بوحدانية الله والعدل

(١) كما في قوله ﷺ عن غزوة مؤتة : (حتى أخذ الراية سيف من سيف الله ... ) أخرجه أحمد (١١٣/٢) والنسائي (٤/٢٦).

(٢) ديوانه (٢/٢٨٥).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

(٤) ديوانه (٢/٢٨٤).

وهذا - أيضاً - من الافتراء على الله بأنه عادل إذا ملك  
ممدوح المتنبي (دلير) وعظم قدره!  
٥٢ - ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

جاء نیروزنا وأنت مراده وورت بالذی أراد زناده  
٥٣ - ومثله قوله<sup>(٢)</sup>:

عربي لسانه فلسفی رأیه فارسیة أعياده  
 وهذا من الفرح بأعياد الفرس المشركين الذين يتلهجون  
 بالنیروز<sup>(٣)</sup>، ويشارکهم في ذلك مدعو الإسلام «الرافضة» من  
أبناء الفرس ، الذين يحنون إلى تراث آبائهم .

(١) دیوانه (٢٩١/٢).

(٢) دیوانه (٢٩٢/٢).

(٣) عيد النیروز عيد فارسي المنشأ أحدهم ملکهم جمشيد وهو عبارة عن ستة أيام تُقضى حوائج الأيام في الخمسة الأيام الأولى وأما اليوم السادس فيجعله الأكاسرة لخواصهم وأنهم ويسمونه «الثیروز الكبير» وهذا العيد يُعد عيد رأس السنة الفارسية الشمسية وهو يوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية. انظر: مجلة الأزهر عدد ١٤٨٥ ص ١٠١ وشرح ثلاثيات المسند للسفاريني الأزهر (١٥٧٨)، وحاشية الدكتور عبدالله التركي والحلو على «المغني» لابن قدامة (٤٢٨/٤).

ومعلوم أن الفرح بأعياد الكفار وتهنئتهم بها محرّم شرعاً،  
قال الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله -:

«مخالطة غير المسلمين في أعيادهم محرّمة؛ لما في ذلك من الاعانة على الإثم والعدوان وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالنَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأَيْمَرِ وَالْعَدْوَنِ﴾<sup>(١)</sup>. ولأن هذه الأعياد إن كانت لمناسبات دينية فإن مشاركتهم فيها تقتضي إقرارهم على هذه الديانة، والرضا بما هم عليه من الكفر، وإذا كانت الأعياد لمناسبات غير دينية فإنه لو كانت هذه الأعياد في المسلمين ما أقيمت فكيف وهي في الكفار؟ لذلك قال أهل العلم إنه لا يجوز للMuslimين أن يشاركونا غير المسلمين في أعيادهم، لأن ذلك اقرار ورضى بما هم عليه من الدين الباطل، ثم إنه معاونة على الإثم والعدوان»<sup>(٢)</sup>.

٥٤- من ذلك قوله<sup>(٣)</sup>:

لنا مذهب العباد في ترك غيره وإتيانه نبغي الرغائب بالزهد

(١) سورة المائدة، الآية: ٢.

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٦١/٦١ - ٦٢) دار الوطن للنشر، الرياض.

(٣) ديوانه (٣٠٠/٢).

رجونا الذي يرجون في كل جنة بأرجان حتى مايسنا من الخلد  
وفي هذين البيتين أفصح المتنبي بكل وضوح عن هدفه من  
مدح الممدوح، إذ هو يبحث عن (الرَّغَائِبِ) لا غير، وهو يُشَبِّهُ  
فعله هذا بفعل العُبَادِ الذين يخلصون العبادة لِلله عز وجل طالبين  
جنته، هاربين من ناره، فالمتنبي قد حقق (الإخلاص) في قصد  
الممدوح وحده دون غيره، مبتغيًا (رَغَائِبِهِ)!

٥٥- ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

فإن يكن المهدى من بان هديه فهذا إلا فالهدى ذا فما المهدى؟  
يعتلنا هذا الزمان بذا الوعد ويخدع عما في يديه من النقد  
وهذا القول فيه سخرية بعقيدة ثابتة عند أهل السنة  
والجماعة، وهي عقيدة خروج المهدى، قال عليه السلام: «يكون في  
أمتى المهدى»<sup>(٢)</sup>.

أما المتنبي فمهديه غير مهدي المسلمين، وإنما هو

(١) ديوانه (٣٠١/٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٩٩)  
وانظر: رسالة «الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردۃ في  
المهدی» ورسالة «عقيدة أهل السنة والأثر في المهدی المتظر» كلاما  
للشيخ عبدالمحسن العباد - حفظه الله - وانظر: «السلسلة الصحيحة»  
للألباني (٢٣٧١).

ممدوحه الذي قد بان هديه ، كما يزعم شاعر المدح !

٥٦ - ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup> :

الناس كالعبديةن آلهة وعده كالموحد اللاهـا  
وهذا من الغلو في المدح الذي برع فيه المتنبي ، ولو كان  
على حساب دينه وعقيدته ، فهو هنا يشبه حاله مع ممدوحه كحال  
المخلصين مع الله عز وجل .

٥٧ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup> :

ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان  
وهذا تبدل لاسم نبي الله سليمان - عليه السلام - وكذب  
عليه ، حيث ادعى أنه سيحتاج إلى ترجمان عندما يسير في هذا  
الشعب ، والله قد أخبرنا بأنه قد علمه منطق الحيوانات . قال  
سبحانه عنه - عليه السلام - ﴿وَقَالَ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنْطَقَ الطَّيْرِ  
وَأُوتِنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾<sup>(٣)</sup> .

٥٨ - ومن ذلك قوله<sup>(٤)</sup> :

(١) ديوانه (٢/٣٠٧).

(٢) ديوانه (٢/٣٠٨).

(٣) سورة النمل ، الآية: ١٦.

(٤) ديوانه (٢/٣٠٩).

أبوكم آدم سن المعاشي وعلّمكم مفارقة الجنان  
وهذا تهور من المتنبي، حيث زعم أن آدم - عليه السلام -  
قد سَنَّ لنا المعاشي وارتضاها، وهو - عليه السلام - إنما أذنب  
ذنبًاً تاب منه، ثم قَدِرَ الله عليه مفارقة الجنة، ثم ابتلاه بهذه الدار  
النكدة ليعود بشوق عظيم إلى الجنة مرة ثانية.

٥٩ - ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

فإن الناس والدنيا طريق إلى من ما له في الناس ثان  
وهذا كذب من الشاعر، فالذي ماله في الناس ثانٍ هو  
رسول الله ﷺ لا ممدوح المتنبي.

٦٠ - ومن ذلك قوله<sup>(٢)</sup>:

ولولا كونكم في الناس كانوا هراء كالكلام بلا معانٍ  
وهذا يلحق بما مضى من الغلو في المديح.

٦١ - ومنه - أيضًاً - قوله<sup>(٣)</sup>:

ولم أقل مثلك أعني به سواك يافرداً بلا مشبه  
هذا ما تيسر لي من ملاحظته على ديوان المتنبي من أخطاء

(١) ديوانه (٣١٠/٢).

(٢) ديوانه (٣١٢/٢).

(٣) ديوانه (٣٢٧/٢).

تجاوز فيها حدود الشرع، أحببت أن لا يتسامح فيها قرأوه  
ومحبوه، أو يفضوا الطرق عنها.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآلـه وصحبه  
أجمعين.

المؤلف

٥٢٢ - ص . بـ

١١٣٢١



## دين المتنبي

للأستاذ سعيد الأفغاني<sup>(١)</sup>

عاش في هذه الدنيا قبل ألف عام رجل قضى إحدى وخمسين سنة يعمل في حياته للمجد؛ ركب إليه المكاره واقتحم الغمرات؛ أراده مرة من طريق الدين فخاب، ثم راوغه من طريق الولاية فأخفق، ثم مضى قُدُّماً يجالد دون سبيله هذه جيوشاً من أذى الأعداء ونكاية الحсад وكلب الزمان وتخلف الجد.

تقاذفه الأقطار ضارباً في الأرضِ: من حلب، إلى دمشق، إلى فلسطين، إلى مصر، إلى العراق، إلى فارس؛ حتى إذا ملاً الدنيا وشغل الناس وقفل راجعاً من شيراز وشارف بغداد وحط في سوادها الغربي، أحاط به أعداؤه في دير العاقول ليغتالوه، فقاتلهم قتال المستبس المستميت حتى سقط دفاعاً عن نفسه وشرفه، فصعدت روحه إلى بارئها يحاسبها على ما قدمت في عاجلتها من خير أو شر

وإذا كان موضوعنا البحث في دين الرجل فلا بد أن ننبه قبل الشروع فيه إلى أنا سنخرج على ذلك السخف التقليدي التي

(١) مقالة نشرت في مجلة الرسالة العدد (١٦١، ١٢٥٣ - ١٢٥٧) علقت على مافيها من ملاحظات، ولشقيق جبرى مقالة بعنوان «أخلاق المتنبي» نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية (مجلد ١٠ ص ٥٢٦ - ٥٣٦).

توارثناه في عصورنا الأخيرة جيلاً عن جيل، في تكفير الناس من أجل كلمة قالوها أو عمل قاموا به؛ تتعلق لذلك بأوهي الأسباب ونتكلف له كل التكلف لنخرج مسلماً عن دينه وإن كرهناه، أو نؤول له ما زل به لسانه إن أحببناه. تعقد لذلك المجالس في المساجد والمدارس وعند السلطان، وتؤلف الرسائل وتشار الفتنة وترافق الدماء، حتى لقد سوّل الشيطان لبعض الحكام أن يتخد من عبادة الهوى هؤلاء مطاييا يركبها إلى غاياته فيمن يكره من كل أمر معروف أو جيّاه بحق أو ثائر على ظلم، فما أسرع ما كانت تخرج الفتيا بالتكفير، وما أسرع الحاكم حينئذ إلى البطش والفتوك.

ولولا الخروج عن الموضوع لأفضت في شرح هذه الناحية من تاريخنا وما أدت إليه من سوء العقبي، وما جرت على العلم والدين من ويلات وخراب، وخاصة آخريات عصور الجهل، يوم كان يضطلع بهذه المهازل شيخ الإسلام في السلطنة العثمانية. وحسب المرء أن يذكر على سبيل التمثيل آراء المحبين والمبغضين في أجيال الصحابة - رضي الله عنهم -؛ صدر تاريخنا، ثم أقوال هؤلاء وهؤلاء في الحلاج ومحيي الدين بن عربي<sup>(١)</sup> وتلك الطبقة. بل ما لي أعمد إلى التاريخ البعيد

(١) الحلاج وابن عربي من كبار ملاحقة أهل التصوف الفلسفية، ولا عبرة بمن دافع عنهم فليت الأفغاني نزه كتابه عن ذكرهما.

وفي فجر نهضتنا مثل صالحة من ذلك. فاذكروا إن شئتم الأئمة جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا ومن لف لفهم. ألم يرفعهم قوم إلى درجات المصلحين المجتهدين، ويهبط بهم آخرون إلى دركات الكفار وأعداء الدين؟!

وغرير منهم هذا الفضول والتطفل، والله تعالى لم يجعل إلينا أمر الناس، حتى نزج أنفسنا في هذه المزالق. ومتى ملك بشرًا أمر بشر والله يقول : «**مَا عَلِيَّكُمْ مِنْ حِسَابٍ هُمْ مَنْ شَرِّعُ وَمَا مِنْ حِسَابٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَرِّيْ**» أما كان في خويصة أنفسهم ما يشغلهم عن الناس والتحكم في آخرتهم؟ وما كان أقربهم من إنصاف لو عرضوا القول أو الفعل على الحق فسموا الأشياء بأسمائها وحكموا عليها بالخطأ أو الصواب، ولم يحملوا النصوص ما لا تحمل ووكلوا أمر الناس إلى الله، إذن لوفروا على أنفسهم عتنا طويلاً وقتاً سيسألهم الله عن إنفاقه في هذه السفاسف والآثام، وجهوداً لم يرزقهم الله إياها ليفرقوا دينه شيئاً ويفربوا عباده بعضهم على بعض.

وأنا إذ أعرض لذين المتنبي فإنما أحكم على أقوال قالها وعلى هنات صدرت عنه، فأعرضها على الحق، وسواء على الباحث إذا اجتهد وأخلص، أكان المتنبي بعد ذلك مسلماً أم ملحداً، فما لنا إيمانه ولا علينا كفره، ولا يملك إنسان لإنسان

عذاباً ولا ثواباً.

أَمْهَد لِبُحْشِي بِكَلْمَةٍ عَنِ الْحَالَةِ الدِّينِيَّةِ فِي النَّصْفِ الْأَوَّلِ مِنِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ الْهَجْرِيِّ، وَهُوَ الْأَمْدُ الَّذِي عَاشَ فِيهِ شَاعِرُنَا؛ وَأَنَا حِينَ أَفِيضُ فِيهِ إِنْمَا أَتَكَلَّمُ عَنِ الْمُتَنَبِّي نَفْسَهُ لِشَدَّةِ الْعَلَاقَةِ بَيْنِ الرَّجُلِ وَعَصْرِهِ، وَلَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَحْوَالِ ذَلِكَ الْعَصْرِ كَانَ يَهْبِي لِلْدُعُوَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ. وَسَنَرَى أَنْ تَنبُؤَ أَبِي الطَّيْبِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْأَدِيِّ فِي ذَلِكَ الزَّمْنِ الَّذِي يَعْجَبُ بِالْأَحْزَابِ وَالنُّحلِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ.

كَانَ الدِّينُ أَرْوَحُ التِّجَارَاتِ حِينَئِذٍ فِي جَمِيعِ الْأَقْطَارِ الإِسْلَامِيَّةِ؛ فَمَنْ بَنَى مُلْكًا تَذَرَّعَ لَهُ بِالْدِينِ، وَمَنْ أَرَادَ ثُورَةً جَعَلَ شَعَارَهَا الدِّينَ، وَمَنْ دَعَا إِلَى نَحْلَةٍ فَإِنَّمَا سَلَاحَهُ هَذَا الْوَتَرُ الْحَسَاسُ مِنِ النُّفُوسِ؛ وَدُولَةُ بَنِي العَبَّاسِ إِذْ ذَاكَ مُنْكَمْشَةٌ فِي رِقْعَةٍ صَغِيرَةٍ فِي الْعَرَاقِ، تَعِيشُ مَعَ ذَلِكَ خَاضِعَةً لِسُلْطَانِ الْأَمْرَاءِ الْمُتَغَلِّبِينَ مِنَ الْفَرْسِ أَوِ الدِّيلِيمِ أَوِ التُّرْكِ، وَالْأَنْتَسَابُ إِلَى آلِ بَيْتِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمْضَى سَلاحَهُ يَصْرُفُهُ الْخُوارِجُ وَأَرْبَابُ الْأَطْمَاعِ.

كان في حلب بنو حمدان وهم علوية، وانقرض الأغالبة في المغرب فدعى للفاطميين في رقاده من أرض القيروان سنة ٢٩٦ وهم يتسبون إلى فاطمة<sup>(١)</sup>، وكل خارج على الدولة إنما كان يدعو الناس إلى الرضى من آل محمد، وكان في تعاليم الشيعة ما يحفز الطامحين إلى شق العصا: كلُّ يدعي أنه الإمام المنتظر.

وأعظم النحل تسلطاً ونفوذاً يومئذ ثلاث: الباطنية والشيعة والحنابلة<sup>(٢)</sup>، وهؤلاء الآخرون انحصر سلطانهم في بغداد فترة من الزمن فقط، بينما انبث دعاة الشيعة والباطنية في كثير من الأقطار. وكان أهول الجميع خطراً وأبعدهم أثراً القرامطة، وهم طائفة مؤولة باطنية حلولية، جعلوا للشرع ظاهراً وباطناً، وبنوا مذهبهم على تأويل الأحكام والأيات. ظهروا سنة ٢٧٨ هـ وانتشروا بالشام وسoward الكوفة، ثم اشتد أمرهم حتى زحفوا على حمص، وخضعت لهم دمشق على جزية، ثم زحفوا إلى الكوفة وعظم خطورهم وتفاقم شرهم،

(١) انتسابهم إلى فاطمة - رضي الله عنها - كذب كشفه علماء أهل السنة، فالالأولى أن يقال عنهم «الدولة العبيدية» نسبة إلى جدهم عبيد الله.

(٢) الحنابلة ليست نحلة، إنما هم من أهل السنة والجماعة، يتبعون في الفقه إمامهم أحمد بن حنبل، كما أن غيرهم من أهل السنة يتبعون أبي حنيفة أو مالكا أو الشافعى. وإنما تميزوا في العقيدة باتباعهم السلف الصالح، فالالأولى أن يقال هنا: «السلفيون» لا «الحنابلة».

وعجز جند الخلافة عن إخضاعهم «وما زال أمرهم إلى قوة حتى استولوا على أكثر بلاد الفرات، وأسسوا دولة بالبحرين، ودحروا جيوش الخليفة المقتدر، وثارت منهم طائفة في نواحي الحجاز، فانقطع الحج سنين خوفاً منهم، ولما أرسل إليهم المقتدر جيشاً بقيادة منصور الديلمي دحروه وقتلوا الحجاج يوم التروية في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً وطرحو القتل في بئر زمزم، واقتلع زعيمهم الحجر الأسود من مكانه في الكعبة، وأخذه معه إلى هَجَر حيث بقي اثنين وعشرين عاماً حتى رُدَّ إلى مكانه أيام المطیع العباسي سنة ٣٩٣».

ذكر المعري في رسالة الغفران: «أن للقرامطة بالأحساء بيتاً يزعمون أن إمامهم يخرج منه ويقيمون على باب ذلك البيت فرساً بسرج ولجام، ويقولون للهμج والطغام: (هذه الفرس لركاب المهدي يركبه متى ظهر) وإنما غرضهم بذلك خداع وتعليل، وتوصل إلى المملكة وتضليل . ومن أعجب ما سمعت أن بعض رؤساء القرامطة في الدهر القديم لما حضرته المنية، جمع أصحابه وجعل يقول لهم لما أحس بالموت: (إني قد عزمت على النقلة وقد كنت بعثت موسى وعيسى ومحمدأ، ولا بد لي أن أبعث غير هؤلاء) فعليه اللعنة، لقد كفر أعظم الكفر في الساعة التي يؤمن فيها الكافر، ويؤوب إلى آخرته المسافر». اهـ.

نجد أن القرامطة أخذوا بالحلول والتناصح المتسربين إلى المسلمين من الهند وفارس، وشاركوا بعض فرق الشيعة في فكرة الإمام المنتظر، وأصبح من ديدن كل داعية إلى بدعة أو خروج على سلطان، أن يتسبّب إلى علي رضي الله عنه، أو أن يدعوه إلى الرضي من آل محمد إن تعذر عليه النسبة مباشرة.

وكثير هؤلاء الدعاة والخارجون، وفشت فاشيتيهم حتى  
امتلأت حوادث تلك الأيام بذكرهم. وكان سقوط هيبة الخلافة  
وانحلال العصبية العربية من أهم العوامل في كثرة تلك الطوائف  
والانقسامات. وأصبحت الدنيا في كل مكان لمن غالب، وجهر  
المتغلبون وجنودهم بضرورب من المناكر أفقدت صبر البقية  
الصالحة، فثار في بغداد جماعة من الحنابلة، واضطررت  
قلوبهم بالغيرة على الدين من أن تنتهك محارمه، فأجمعوا  
أمرهم وانتظموا معسكرات تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر  
بالقوة والسلاح؛ واستفحلا شأنهم وقويت شوكتهم، حتى  
صاروا يكبسون بيوت القواد وال العامة فحيثما «وجدوا مسكراً  
أراقوه، أو مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء..» ولم يطل بهم  
الزمان حتى أذعن المؤثرات العصر، فتسرب إلى جماعات منهم

أقوال هي إلى الحلول والتشبيه<sup>(١)</sup>، واندس في غمارهم - على ما يظهر - أناس ليسوا منهم، فعظمت أذيthem على الناس، فتقديم إليهم الخليفة بالإذار بما أفاد، فاضطر إلى قمعهم بالقوة وإراحة الناس منهم<sup>(٢)</sup>.

هذا إلى أناس كثيرين جعلوا الدين وسيلة إلى الدنيا يتاجرون به متاجرة، فيوماً تراهم معتزلة ويوماً شيعة؛ وحينما باطنية وتارة حلولية يقولون بالتناسخ، يميلون مع الريح حيث مالت، ويعرضون في كل سوق ما يروج فيها، لا يرجعون إلى عقيدة، ولا يصدرون عن إيمان، بل هم أبداً متقلبون «يَقُولُونَ إِلَّا فَوْهِمُ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ».

تلك هي حال الدين في عصر أبي الطيب وفي البلاد التي

(١) عقيدة الحنابلة في صفات الله هي عقيدة السلف الصالح متأثرين في ذلك بآمامهم أحمد بن حنبل - رحمه الله - وهو الإيمان بكل ما ورد من صفات الله في الكتاب والسنة دون تأويل لها أو تشبيه لها بصفات الخلق. وقد كان معطلة الصفات من المعتزلة والأشاعرة يُسمون بكل مثبت للصفات «مشبهاً»، ولهذا فقد اشتهر عن البعض - كالأفغاني - أن الحنابلة أو بعضهم مشبهة، فتبه لهذا، ولا تنخدع بافتراءات منكري ومؤولي الصفات.

(٢) الأولى أن يعينهم على إنكار المنكر لا أن يقمعهم «ويريح الناس منهم» كما يزعم الأفغاني!

حل فيها<sup>(١)</sup>. فما ظنكم بفتى دون العشرين من عمره، يتوقّد ذكاءً، ويُتَفجّر فصاحةً، طماح مغامر، يُعشق السيادة، وينشد المجد بكل قوته، التفت حوله فما رأى إلا جماهير بلا عقل، تتبع كل ناعق، عليهم رؤساء جهال، لا علم لهم ولا فضل ولا أدب، ما فيهم على كثرةِهم من يقاربه في ذكائه ومواهبه وعظم نفسه، ثم أيصر سوق الدعوات رائحة كل الرواج، وكان في طبيعة كثير منهم ما يدعو الطامح إلى محاولة السيادة عن طريق الدين.

شاء هذا الفتى أن يقيّم نسبة بين دعوتهم ودعوته تتسق هي والفرق بينهم وبينه، فإذا كان فيهم من ادعى أنه الإمام المنتظر، أو المهدي، أو الرضي، فإن النسبة تقضي أن يدعى النبوة دفعة واحدة، وقد فعل.

ولا مندودة لي هنا عن القول بأن تنبؤه في الأعراب أمر وقع حقيقة ولا سبيل إلى الشك فيه، تضافرت على ذلك كل المصادر الموثوقة، حتى التي كانت تميل إليه كل الميل، فإنها

(١) هذا تشاؤم من الأفغاني، ودعوى باطلة، لأنه كما أخبر رسول الله لا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم.

لم تنف الأمر وإنما التمست له المعاذير، وما كان أغناها عن ذلك، فإن في السن التي وقعت فيها هذه الزلة العذر كل العذر<sup>(١)</sup>؛ وليس من الإنصاف أن نلزم حياة خمسين سنة من أجل هناه كانت في سن الفتوة. فلأشرع في ذكر هذا التنبؤ بإيجاز، ثم لأفضن في علاقة الرجل بالدين مدى حياته. وسأعتمد في قص الحادث على أبي العلاء خاصة، لفضله<sup>(٢)</sup> ولتحريره وقرب زمانه. وسأغطي نفسي من أشياء كثيرة وردت في (الصبح المنبي) لا يقبلها عقل ولا تؤيدها قرائن.

وقع المتنبي إلى بادية السماوة وأظهر دعوته، فتبعه قوم من الأعراب من بني كلب، خلبهم بذلة لسانه، وحسن بيانه. وتلا عليهم كلاماً زعم أنه أنزل عليه. نقله الأنباري في طبقاته عن أبي علي بن حامد قال: «وكان قد تلا على البوادي كلاماً زعم أنه قرآن أنزل عليه. فكأنوا يحكون له سورة كثيرة نسخت منها سورة ثم ضاعت وبقي أولها في حفظي وهو: والنجم السيار، والفلك الدوار، والليل والنهار، إن الكافر لفي أخطار.

(١) لا عذر للمتنبي في ادعائه النبوة لأنه حينها كان عاقلاً بالغاً، وفعله هذا م .. لا يجهل حُرمتَه مسلم.

(٢) لم يكن المعربي فاضلاً! بل كان متذبذباً متثيراً في دينه، وله من الأقوال (الكافرية) الشيء الكثير، مما ليس هذا موضع ذكره.

امض على سنتك، واقف أثر من قبلك من المرسلين، فإن الله  
قائم بك زيق من الحد في دينه وضل عن سبيله».

وقد حفظ لنا التاريخ مشهداً من مشاهد هذه الدعوة في  
اللاذقية، ولا ريب أنه كان بعد أن توثق أمر المتنبي بعض التوثيق  
في الbadia . قال أبو عبد الله معاذ بن اسماعيل اللاذقي :

«قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية في سنة ٣٢٠هـ وكان  
عمره يومئذ سبع عشرة سنة وهو لا عذر له، وله وفرة إلى  
شحمتي أذنيه، فأكرمه وعظمته لما رأيت من فصاحته وحسن  
سماته؛ فلما تمكن الأنس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل  
اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من أدبه قلت له: «والله إنك لشاب  
خطير، تصلح لمنادمة ملك كبير..». فقال: «ويحك! أتدري ما  
تقول؟ أنانبي مرسل..». فظننت أنه يهزل، ثم تذكرت أنني لم  
أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته فقلت له: «ما تقول؟» فقال:  
«أنانبي مرسل..».

فقلت له: «مرسل إلى من؟». قال: «إلى هذه الأمة  
الضالة». قلت: «تفعل ماذا؟». قال: «أملأ الدنيا عدلاً كما  
ملئت جوراً».

قلت: «بماذا؟».

قال : «بِإِدْرَارِ الْأَرْزَاقِ وَالثَّوَابِ الْعَاجِلِ لِمَنْ أَطَاعَ وَأَتَى ،  
وَضَرَبَ الْأَعْنَاقَ لِمَنْ عَصَى وَأَبَى» .

فقلت له : «إن هذا أمر عظيم أخاف عليك منه أن يظهر»  
وعدلته على ذلك ، فقال بديها :

أبا عبد الإله معاذ إني  
ذكرت جسم مطلبي وأنا  
أمثلني تأخذ النكبات منه  
ولو برب الزمان إلى شخصاً  
وما بلغت مشيئتها الليلي  
إذا امتلأت عيون الخيل مني  
خفى عنك في الهيجا مقامي  
نخاطر فيه بالمهج الجسم  
ويجزع من ملاقاة الحمام  
لخضب شعر مفرقه حسامي  
ولا سارت وفي يدها زمامي  
فوويل في التيقظ والمنام

بهذه القوة والاطمئنان يتحمس المتنبي لنصرة دعوته  
ويحاول تمكينها من القلوب ، فلنصلغ إلى أبي العلاء المعري في  
رسالة الغفران يحدث عن معجزات نسبت إلى أبي الطيب ، قال :

«وحدثت أن أبا الطيب لما حصل في بني عدي وحاول أن  
يخرج فيهم قالوا له وقد تبنتوا دعواه : ههنا ناقة صعبة فإن قدرت  
على ركوبها أقررنا أنكنبي مرسل . وأنه مضى إلى تلك الناقة  
وهي رائحة في الإبل ، فتحليل حتى وثبت على ظهرها فنفرت  
ساعة ، وتنكرت برهة ، ثم سكن نفارها ومشي المسماحة ،

وأنه ورد بها الحلة وهو راكب عليها، فعجبوا له كل العجب،  
وصار ذلك من دلائله عندهم.

وحدثت أيضاً أنه كان في ديوان اللاذقية، وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكين الأقلام فجرحته جرحاً مفرطاً،  
 وأن أبو الطيب تفل عليها من ريقه وشد عليها غير متظر لوقته،  
وقال للمجروح: لا تحلها في يومك، وعد له أياماً وليلات، وأن  
ذلك الكاتب قبل منه، فبرئ الجرح، فصاروا يعتقدون في أبي  
الطيب أعظم اعتقاد ويقولون: هو يحيي الأموات.

وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية  
أو في غيرها من السواحل، أنه أراد الانتقال من موضع إلى  
موضع، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل، ولقيهما كلب أح  
عليهما في النباح، ثم انصرف، فقال أبو الطيب لذلك الرجل  
وهو عائد: إنك ستجد ذلك الكلب قد مات، فلما عاد الرجل  
لقي الأمر على ما ذكر.

ولا يمتنع أن يكون أعدله شيئاً من المطاعم مسموماً وألقاه  
له وهو يخفي عن صاحبه ما فعل» اهـ.

هذا ما ذكر المعربي من معجزاته، وقد ذكر غيره معجزات  
آخر نضرب عنها صفحأ، لبعدها عن العقل، ولأن راويها ليس

في التثبت بمكان أبي العلاء.

وفي ديوان أبي الطيب قصيدة قالهما في صباه ، تفيفسان  
أملاً وطموحاً وكفاحاً ، وأنا أجعل زمانهما فترة التنبؤ هذه ، حين  
كانت نفسه تجيش بأبعد المطامع وتوقن بالفوز والنجاح .

لما وجد تلکؤ الناس عن إجابة دعوته في نخلة - إحدى  
قرىبني كلب - ومظاهرته بالعداء ، عزم على المضي بأمره  
وتحمل الأذى ، ورسم لنفسه هذه الخطة الواضحة في قصيده :  
ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود  
مفرشي صهوة الحصان ولك  
أين فضلي إذا قنعت من الده  
ضاق صدري وطال في طلب الرز  
أبداً أقطع البلاد ونجمي  
عش عزيزاً أو مت وأنت كريم  
فاطلب العز في لطى ودع الذ  
إن أكن معجباً فعجب عجيب  
أنا ترب الندى ورب القوافي  
أنا في أمة تداركها اللـ  
ولما رزقت دعوته بوارق من الإقبال فيبني كلب سكر

بنشوتها وطفقت نفسه تحدثه بقرب تحقيق الأمنية، ثم استمر خياله يبني له هذا المجد حتى أنس من نفسه قوة وتحفزاً، فراح يتحدث بإنفاذ ما رسم من خطة، ولو وقفت دونه ملوك الأرض، إلى أن تتم دعوته ويسود الناس.

إن شئت فانظر في هذه الأبيات أهي لهجة شاعر يفتخر، أم إيمان طماح واثق من نفسه كل الثقة؟

سيصحب النصل مني مثل مصرية وينجلي خبri عن صمة الصمم  
لقد تصبرت حتى لات مضطبر فالآن أقحم حتى لات مقتحم  
لأتركن وجوه الخيل ساهمة وال Herb أقوم من ساق على قدم

وما قولك فيمن سيغنى الأرض بالدماء عن الأمطار:  
تنسي البلاد بروق الجو بارقتي وتكتفي بالدم الجاري عن الديم  
ويخاطب نفسه هذا الخطاب الناري، مشجعاً إياها، مهوناً عليها أمر الناس فيقول:

ردي حياض الردى يا نفس واتركي حياض خوف الردى للشاء والنعم  
إن لم أدرك على الأرماح سائلة فلا دعيت ابن أم المجد والكرم  
ثم انظر هذا الإنذار الشامل والوعيد الرهيب لأهل الأرض

وملوك العجم والعرب:  
ميعاد كل رقيق الشفتين غداً ومن عصى من ملوك العرب والعجم

فإن أجابوا فما قصدي بهالهم وإن تولوا فما أرضى لها بهم  
 هذه نفثة نفس جائشة سلحت باليقين ورأت الخيال يلوح  
 لها بقوة الحقيقة الواقعة، مؤمن بالفوز، واثقة من كفاءتها  
 واضطلاعها بالأمور الجسم، وما أظن أبا الطيب حين قال هذه  
 القصيدة كاذباً في نفسه، لا بل كان يحدث عنها أصدق  
 الحديث، وإن كان مخدوعاً ثائراً يريه شبابه الفائز ومواهبه  
 المتقددة السراب ماء فذهب يصف ما تريه نفسه. وإن فكيف  
 تكون القصيدة أقوى ظهوراً منها فيما تلوت من شعره.

تبعدت أبا الطيب شراذم من عامة وأعراب، ثم نمى خبره  
 إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيدية، وأنه يخشي أن  
 يستفحـل أمره «فخرج إليه لؤلؤ، فقاتلـه وأسرـه وشـردـ منـ كانـ معـهـ  
 منـ بـنـيـ كلـبـ وـغـيرـهـ منـ قـبـائلـ الـعـربـ. وـحـبـسـهـ فـيـ السـجـنـ دـهـرـاـ  
 طـوـيـلاـ حـتـىـ كـادـ يـتـلـفـ، فـكـانـتـ حـالـهـ إـلـىـ الضـرـاعـةـ وـالـسـكـانـةـ».

وـكـانـتـ هـذـهـ الضـرـبةـ كـافـيـةـ فـيـ إـعادـةـ رـشـدـهـ إـلـيـهـ وـفـيـ يـقـظـتـهـ  
 مـنـ حـلـمـهـ الـلـذـيـ نـعـمـ بـهـ زـمـنـاـ يـسـيرـاـ فـاسـتـقـامـتـ تـلـكـ النـفـسـ  
 الـتـيـ كـانـتـ تـهـذـيـ فـيـ حـلـمـهـاـ وـتـقـولـ :ـ  
 إـذـاـ اـمـتـلـأـتـ عـيـونـ الـخـيـلـ مـنـيـ فـوـيلـ فـيـ التـيقـظـ وـالـمـنـامـ

وتقول:

مِيعادُ كُلِّ رَفِيقِ الشَّفَرَتِينِ غَدًا  
وَمِنْ عَصْمِ مَلُوكِ الْعَرَبِ وَالْعِجمِ  
وَهَبَطَتْ مِنْ عَلَيْهَا إِلَى أَسْفَلِ الدَّرَكَاتِ فَقَالَتْ:

أَمَالِكَ رَقِىٌّ وَمِنْ شَائِنَهُ  
هَبَاتِ الْلَّجِينَ وَعَنِقَ الْعَبِيدِ  
دَعْوَتِكَ عِنْدَ اِنْقِطَاعِ الرَّجَاءِ  
وَالْمَوْتُ مِنِي كَحْبِلِ الْوَرِيدِ  
ثُمَّ سُئِلَ لَؤْلَؤٌ فِي أَمْرِهِ فَاسْتَتَابَهُ وَكَتَبَ وَثِيقَةً وَأَشَهَدَ عَلَيْهِ  
فِيهَا يُبَطِّلُنَّ مَا ادْعَاهُ وَرَجُوعَهُ إِلَى الإِسْلَامِ وَأَطْلَقَهُ.

وبهذا انطوت صحفة من تاريخ أبي الطيب في صباحه،  
على نزوة خلدها التاريخ على قلة ما يسجل للصبيان من نزوات.

لم يفِد أبو الطيب من مغامرته هذه إلا لقب (المتنبي) الذي  
لصق به على كره منه، فكان يستحيي بعد توبته كل الاستحياء.  
ذكر عنه المعري أنه سُئل عن حقيقة هذا اللقب فقال: «هو من  
النَّبُوَّةِ أَيِّ المرتفع مِنَ الْأَرْضِ» ولما كان في بغداد قال له أحد  
الأكابر: «خبرني من أثق به أنك قلت إنك نبي؟» فقال أبو  
الطيب: «الذِي قلتَهُ: أنا أَحْمَدُ النَّبِيَّ!»

قال أبو علي بن حامد: «كان المتنبي في مجلس سيف  
الدولة: إذا ذكر له قرآن أنه أنكره وجحده. وقال له ابن خالويه يوماً  
في مجلس سيف الدولة: «لولا أن أخي جاهم لما رضي أن

يدعى بالمتنبي لأن معنى المتنبي كاذب، ومن رضي أن يدعى بالكذب فهو جاهم. فقال أبو الطيب: لست أرضي أن أدعى بذلك وإنما يدعوني به من يريد الغض مني، ولست أقدر على المنع».

ونقل صاحب طبقات الأدباء (ص ٣٧١) عن التنوخي قال: قال لي أبي: «أما أنا فسألته بالأهواز عن معنى المتنبي لأنني أردت أن أسمع منه هل تنبأ أو لا؟ فجاوبني جواب مغالط وقال: «إن هذا شيء كان في الحداثة فاستحييت أن أستقصي عليه فأمسكت».

وزعم جماعة أن اللقب لصق به لتشبهه بال المسيح مرة، وبصالح مرة في أبياته التي مرت.

وكيفما كان؛ فإن الذين عاشوا في زمن المتنبي وبعده مجتمعون على ادعائه النبوة، وكان هو يجهد أن ينفي التهمة في حياته خجلاً وحياء. وليس بين الأمرين تناقض ولا داع إلى حيرة. وقد كان هذا اللقب على أبي الطيب من أشد ما كابد في حياته: فقد منعه كافور الولاية بسببه، ولم يعتذر قال: «يا قوم، من ادعى النبوة بعد محمد صلوات الله عليه ألا يدعني الملك مع كافور؟ فحسبكم» وكلما أراد عدو أو شاعر إيلام المتنبي هجاه ونبيه بهذا اللقب.

٢- دين المتنبي  
للأستاذ سعيد الأفغاني<sup>(١)</sup>

أنتقل الآن إلى الكلام عن اعتقاد أبي الطيب، وهو الموضوع الذي زلت فيه أقدام كثرين، إما لميل إلى الرجل أو عليه، وإما لاكتفائهم من البحث بأدنى نظرة، وتعلقهم بظاهر من القول دون نفاذ إلى حقيقته ولا تطلع إلى ما حف به من قرائن. والحقيقة في هذا ضرورية لمن يريد استنباط أمور من الشعر العربي، وخاصة في عصر كعصر أبي الطيب فشا فيه المدح والغلو والتلاعب بالألفاظ، وأصبح كل مادح على مذهب ممدوحه في الأغلب، فإن كان شيعياً أشاد الشاعر بسراة الشيعة ورفع من مقاالتهم، وإن كان يقول بالتناصح مال الشاعر إليه، وإن كان معتزلياً أو سنياً فالشاعر معتزلي أو سني.. وهكذا دواليك.

فشت هذه الظاهرة من النفاق في الناس وكانت أشد ما تكون في الشعراء، حتى لقد شهد المعربي عليهم وعلى عصرهم

(١) نشرت في مجلة الرسالة، عدد ١٦٢.

بذلك؟ وحسب التاريخ شهادة شيخ المعرة، فقد أيدتها بالدليل، وأرسل فيها قوله حكيمًا يعرف رشده وصوابه كل من أمعن الفكرة، ولم يكتف بالنظرة. قال بعد أن ذكر تنبؤ أبي الطيب والأبيات تدل على تأله: «إذا رجع إلى الحقائق فنطق اللسان لا ينبيء عن اعتقاد الإنسان، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق، ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تدينا وإنما يريد أن يصل به إلى ثناء أو غرض؛ ولعله قد ذهب جماعة هم في الظاهر متبعدون وفيما بطن ملحدون. وما يلحقني الشك في أن دعبدل بن علي لم يكن له دين، وكان يتظاهر بالتشيع، وإنما غرضه التكسب؛ ولا أرتاب في أن دعبدلاً كان على رأي الحكمي وطبقته، والزندقة فيهم فاشية ومن ديارهم نائمة . . .».

وقال في موضع آخر: «وفي الناس من يتظاهر بالمذهب ولا يعتقد، يتوصل به إلى الدنيا الفانية، وكان لهم (يعني القائلين بالتناسخ) في المغرب رجل يعرف بابن هاني وكان من شعرائهم المجيدين فكان يغلو في مدح المعز غلوًا عظيمًا، حتى قال فيه وقد نزل بموضع يقال له رقادة:

حل بر قادة المسيح      حل بها آدم ونوح  
حل بها الله ذو المعالي      وكل شيء سواه ريح»

فمن الضلال الذين إذن أن نلزم أبا الطيب عقيدة ذكرت في شعره عرضاً، إلا إذا صحته قرائن تقويها وتدل على اعتقاده إياها<sup>(١)</sup>. وليس من الصواب في شيء اعتبار الشعر - وحاله ما بینا - مصدراً من مصادر التاريخ. وما أجهل المؤرخ إذا حكم على أخلاق سيف الدولة أو كافور بشهادة شعر المتنبي فيهما.

بهذا الحذر أخوض الكلام في اعتقاد المتنبي مع علمي بأنه لم ينظم شيئاً يبين فكرته في الدين خاصة، وإنما هي أبيات وقعت في جملة شعره، بوسع المؤرخ أن يستأنس بها بعد أن يدرس سيرته.

جاء في خزانة الأدب للبغدادي كلام عن اعتقاد أبي الطيب منقول عن الأصفهاني وهذا نصه:

«وهو (أبي أبو الطيب) في الجملة خبيث الاعتقاد؛ وكان في صغره وقع إلى واحد يكفي أبا الفضل بالكوفة من المتكلسفة فهو شهـ وأضلـهـ كما ضلـ. وأما ما يدل عليه شعره فمتلونـ، وقولـهـ:

هونـ علىـ بـصـرـ ماـ شـقـ مـنـظـرـهـ فإنـماـ يـقـظـاتـ العـيـنـ كـالـحـلـمـ

(١) نعم لا نحكم على الرجل أو غيره بالظنون، ولكننا مع هذا ننكر ما في شعره من أخطاء وانحرافات واضحة لا يقرها الإسلام. كما سبق.

مذهب السوفسطائية . وقوله :

تمتع من سهاد أو رقاد    ولا تأمل كرى تحت الرجام  
فإن لثالث الحالين معنى    سوى معنى انتباهاك والمنام

مذهب التناسخ . وقوله :

نحن بنو الدنيا فما بنا    نعاف ما لا بد من شربه  
وهذه الأرواح من وجوه    وهذه الأجسام من تربه

مذهب القضائية . وقوله :

فإن يكن المهدى من بان هديه    فهذا ، وإن فالهدى ذا ، فما المهدى ؟ !

مذهب الشيعة (كذا) . وقوله :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم    إلا على شجب والخلف في الشجب  
فقيل : تخلد نفس المرء باقية    وقيل : تشرك جسم المرء في العطب

مذهب من يقول بالنفس الناطقة . ويتشعب بعضه إلى قول  
الحشيشية ، والإنسان إذا خلع ربقة الإسلام من عنقه وأسلمه الله  
عز وجل إلى حوله وقوته وجد في الضلالات مجالاً واسعاً ، وفي  
البدع والجهالات . «أديح ورفسحاً» أهد .

فأبو الطيب في رأي هذا الفاضل : سوفسطائي ، تناسخي  
قضائي شيعي حشيشي . . . مجموعة مذاهب لو فرقـت على  
ملكة عريضة لخربتها في يومين ؟ فـما الحال إذا اضطـلـعـ بها كلـها

## قلب رجل واحد؟

على أن الشواهد التي استند إليها في أحكامه هذه لا تحمل ما حملها: فالشاهد الثاني (تمتع من سهاد... البيت) ليس فيه ما يصرح بالتناصح. وقوله: «فإن يكن المهدى...» يخرجه من الشيعية إخراجاً، لأنه شك في المهدى أول البيت، ثم جعل ممدوحه هو المهدى إن كان هناك مهدى، ثم ختم البيت بهذا الاستفهام التهكمي: ما المهدى؟!

وإن دل الشاهد الأخير (تخالف الناس... البيتين) على شيء فعلى تردد أبي الطيب بين القولين وعلى شكه وحيرته بدليل البيت الذي بعدهما:

ومن تفكك في الدنيا ومهجته      أقامه الفكر بين العجز والتعب  
والذي استفادناه من كل ذلك أن المتنبي وقع في حداثة إلى رجل من المتفلسفة فهو سه وأصله، والظاهر أن أثر هذا الأستاذ كان في أبي الطيب بالغأ، فقد بقي ضعف العقيدة وعدم الاعتداد بآداب الدين ملازمًاً لـأبا الطيب حتى مات.

ومهما يكن، فقد ألم المتنبي بكثير من النحل الشائعة في عصره دون اعتقاده بواحدة ما. وذكر بعضها في شعره منزلاً خير تنزيل: مدح طاهراً العلوى مرة فقال:

إذا علوى لم يكن مثل طاهر فما هو إلا حجة للنواصب

والنواصب الخوارج الذين نصبو العداء لعلني .

وذكر المانوية أصحاب الاثنين الزاعمين أن الخير كله من النور وأن الشر كله من الظلام فقال :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب وعرض لذكر المجوس ومذهبهم في نكاح الأخوات حين أراد الثناء على حسن امرأة ود أخوها لو كانت تحل له لفريط جمالها فقال :

يا أخت معتنق الفوارس في الوغى لأنحوك ثم أرق منك وأرحم يرنسو إليك مع العفاف وعنه أن المجوس تصيب فيما تحكم

وقد في شعره ذكر كلمة يصح أن يتعلق بها من يريد جرأبي الطيب إلى طائفة ما ، وهي كلمة (الوصي) في قوله :

هو ابن رسول الله وابن وصيه وشبههما شبهت بعد التجارب

وقوله :

وتركت مدحى للوصي عمداً إذ كان نوراً مستطيلاً شاملًا وقد فرغت من بيان أن مثل هذا لا يدل على شيء ، ولا ينهض دليلاً ولا بعض دليل ، لجريان عادة الشعراء بمعجارة الممدوح في عقيدته ورأيه .

وبعد، فإن لم يكن للحكم على دين المتنبي مجال في شعره، ففي تلك الشناعات القبيحة التي زجه فيها الغلو في المدح حتى قل أدبه مع الله ومع رسleه وكتبه، حين زعم لممدوحيه علواً يرفعهم إلى ذلك المستوى. والمدح متى جاوز الواقع فهو محظور في كل الأديان، فكيف إن كان بالباطل وإلى التغالي. دع ما يريق من ماء وجه المادح وما يكسر من عزته ويضيع من كرامته. ومتى كان مسلماً من لا حياء له ولا عزة ولا كرامة؟

ووددت والله لو أن شعراءنا هجروا هذا الباب، باب المديح، مرة واحدة بمحاسنه ومقابحه، وشغلوا عنه بغيره من فنون القول الواسعة، فما هو بالفن المشرف ولا المأسوف عليه إن فقد. وقد حفظ الأدب العربي كثيراً من المبالغات الممقوته والغلو الشنيع، ولكن ما في ديوان أبي الطيب وحده هو بكل ما في مكتبتنا قبحاً وشناعة وإساءة أدب:

مرة يحاول السجود لممدوحه فلا يكفره إلا الزجر:  
طلبنا رضاه بترك الذي رضينا له فتركنا السجود  
ومرة يشرك هذا الممودح بالله فيقول:  
ما يرجى أحد لمكرمة إلا الإله وأنت يا بدر

ويقول:

لـه الملك بعد الله والمجـد والذـكر  
تـرى القـمر الأـرضـي والـمـلـك الـذـي  
ويـقـول:

إـذـا بـقـيـت سـالـماً أـبـا عـلـيـ فـالـمـلـك لـه العـزـيز، ثـم لـي  
ويـقـول:

أـنـا مـبـصـر وـأـظـن أـنـي نـائـمـ منـ كـان يـحـلم بـالـإـلـه فـأـحـلـمـا  
ويـقـول:

تـتقـاـصـر الأـفـهـام عنـ إـدـرـاكـهـ مـثـلـ الـذـي الأـفـلـاكـ فـيـهـ وـالـدـنـاـ  
يـعـنـي اللـهـ سـبـحـانـهـ.

وـيـسـتـخـفـ تـارـةـ بـالـمـصـطـلـحـاتـ الـدـينـيـةـ اـسـتـخـفـافـاًـ ظـاهـراًـ  
فيـقـول:

يـترـشـفـ مـنـ فـمـيـ رـشـفـاتـ هـنـ فـيـهـ أـحـلـىـ مـنـ التـوـحـيدـ  
وـقـدـ أـرـادـواـ تـأـوـيلـ هـذـاـ الـبـيـتـ فـكـانـ التـكـلـفـ وـالـتـعـسـفـ  
ظـاهـرـينـ فـيـ تـأـوـيلـهـمـ.

وـقـالـ:

وـأـعـطـيـتـ الـذـيـ لـمـ يـعـطـ خـلـقـ عـلـيـكـ صـلـاـةـ رـبـكـ وـالـسـلـامـ  
وـجـعـلـ مـمـدـوحـهـ أـعـظـمـ مـعـجزـاتـ النـبـوـةـ فـيـ قـوـلـهـ:

وأبهر آيات التهامي أنه أبوك وأسمى مالكم من مناقب  
وهو لا يرى لممودحه شبهاً أبداً فيقول:  
لم يخلق الرحمن مثل محمد أبداً وظني أنه لا يخلق  
ويقول:

إن كان مثلك كان أو هو كائن فبرئت حينئذ من الإسلام  
وانظر هذا الغلو الممقوت في قوله:  
لو كان علما بالله مقصماً في الناس ما بعث الله رسوله  
لو كان لفظه فيهم ما أنزل الله في آن والتوراة والإنجيل  
وفي قوله:

في يوم معركة لأعياماً عيسى  
ما انشق حتى جاز فيه موسى  
أبداً ونطرد باسمه إيليسا  
أو كان صادف رأس عازر سيفه  
أو كان لج البحر مثل يمينه  
يا من نلوذ من الزمان بظله  
وهذا الهديان ما معناه؟

يا أيها الملك المصفى جوهراً  
من ذات ذي الملوك أسمى من سما  
نور تظاهر فيك لاهوتيةُ  
فتکاد تعلم علم مالن يعلما  
وهو حيناً كال المسيح (ما مقامي بأرض نخلة... البيت)  
وحيناً كصالح (أنا في أمة... البيت) ولا يخجل بعد هذا الادعاء  
أن يضرع إلى من سجنه بهذه العبودية:

أما لك رقى ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد  
هو من حداثته مهوس مضلل لم يستتر قلبه بنور عقيدة،  
ولا شعر صدره ببرد يقين. فلم ينشأ تنشئة دينية في صباحه، ثم  
طرح إلى هموم الحياة وأتعابها فاضطر إلى التكسب بالمدح من  
صغره، وشغل عن عبادة الله والتدين بعبادة الناس والمال لهذا  
السبب، لا «لأنه صاحب مطامع دنيوية وعقل موكل بالأعمال  
والواقع لا بالعقائد والعادات»<sup>(١)</sup> فليس هناك تناف بين التوكيل  
 بالأعمال والتدين، ولم يخل المتدينون يوماً عن مآرب ومطامع  
في هذه الحياة.

هذا وليس للمتنبي فلسفة إلهية حتى نقول: إنه استهان  
بالدين تفليساً؛ وليس لعقله ما لعقل أبي العلاء من مواهب تؤهل  
صاحبها للنظر والحكم في المقالات والمذاهب<sup>(٢)</sup>، بل هو في  
هذا الاستخفاف الذي تم عليه شعره لا يترفع كثيراً عما نرى عليه  
بعض العامة المستخفين.

كان إلى جانب المحن والثورات الداخلية التي مني بها

(١) قالها العقاد في كتابه: «مطالعات» (ص ١٢١).

(٢) سبق القول عن تحير الموري وشككه في المذاهب والأديان، ومنها  
الإسلام! فنعود بالله من عقل يقود إلى هذا.

ال المسلمين في القرن الرابع غارات أجنبية متواصلة تشن على ثغور المسلمين؛ وكان أمراء العرب في تأهب مستمر لرد هذه الغارات فيظفرون تارة يتربون، وسيف الدولة أحد هؤلاء الأمراء الذين أصلوا الروم بنيرانهم وشغلوا برد غاراتهم.

ونزعة الحروب في الشرق - قديماً وحديثاً - دينية أبداً ما تغيرت يوماً من الأيام، إلا أن الروم كانوا في القرن الرابع الهجري صريحين، لم يهتدوا بعد إلى هذا الطلاء الكاذب الذي أسموه تمدinyaً بعد عشرة قرون.

وشاعرنا أبو الطيب شارك سيف الدولة في جهاده الديني فقاتل بجسمه وتعرض للخطر، وناضل بلسانه، وفي شعره من مواطن الغيرة على الدين وأهله من تسلط الروم ما يحمل المنصف على عدها في حسناته، كان يرى هذه الحروب كما كان يراها غيره من أهل زمانه وكما هي في الواقع - دينية لا قومية -، وهذا هو الفارق بينها وبين حروب سيف الدولة مع خصومه من النساء.

فكان قصائد أبي الطيب التي يصف فيها هذه الحروب تطمح بالحمية الدينية والنزعة الإسلامية، فهو يثنى على سيف الدولة الذي هزم الدمستق وأنقذ المسلمين من إكراه الروم لهم

على الردة فيقول:  
 فخررُوا لخالقهم سجداً ولو لم تغث سجدوا للصلب  
 ولم تعجبه هدنتهم مع الروم فقرعهم ومدح سيف الدولة  
 لتدينه فقال:

أرى المسلمين مع المشركين فاما لعجز وإما رعب  
 وأنت مع الله في جانب قليل الرقاد كثير التعب  
 ومن هنا تلقيه سيف الدولة بسيف الرب وسيف الدين في  
 أقواله:

أيا سيف ربك لا خلقه  
 يا سيف دولة دين الله دم أبداً  
 يا سيف دولة ذي الجلال ومن له  
 خضعت لمنصلك المناصل عنوة  
 ويا ذا المكارم لا ذا الشطب  
 وعش برغم الأعدى عيشة رغداً  
 خير الخلائف والأنام سميا  
 وأذل دينك سائر الأديان

ونعته بنفرته الشديدة من الردة وتعلقه بالإسلام فقال:  
 كأن سخاءك الإسلام تخشى إذا ما اصلت عاقبة ارتداد

وهو رجاء الإسلام والمُؤْمِن من الرحمن ونصير التوحيد:  
 ولست ملِيكَ هازماً لنظيره ولكنك التوحيد للشرك هازم  
 وراجيك والإسلام أنك سالم هينئاً لضرب الهام والمجد والعلا

ولم لا يقي الرحمن حديك ما وقى      وتغليق هام العذابك دائم  
 أبو الطيب يذهب أبعد من هذا : لا يكتفي باستنكار سلطان  
 الروم على قومه ، بل يأنف لهم أن يحكمهم مثل كافور ، وإن كان  
 مسلماً مثلهم ، ولا يرضيه سكوت الناس عليه ؛ ويغضبه أن  
 يعظموه ، فيصرخ فيهم هذه الصرخة ويعرض بأم كافور :  
 نوبية لم تدر أن بنوها الـ      سنوي دون الله يعبد في مصر  
 ثم يرسلها ملعلعة تتزى بالألم والحسرة والأسف على ما  
 صار إليه الإسلام فيقول :  
 سادات كل أنس من نفوسهم      وسادة المسلمين الأعبد القزم  
 رحم الله أبا الطيب ! ما تراه كان قائلاً لو بُعث اليوم فشاهد  
 ما نشاهد ! إذن لرأى هؤلاء القزم شرفاء قياساً إلى غيرهم ، بل  
 أنبياء !

لصاحبنا إزاء ما تقدم من أبيات يأباهما الدين والعقل ،  
 أبيات أخرى هي من صميم الدين وروحه ، يتقدّماني الإنصاف  
 ذكر شيء منها كما ذكرت تلك ، فقد نص في بعضها على أنه لا  
 يخضع لمخلوق أبداً :  
 تغرب لا مستعظاماً غير نفسه      ولا قابلاً إلا لخالقه حكماً  
 وقد جعله أبو العلاء بهذا البيت من المتألهين . ويعرف

بتصرف الله المطلق في الكون:  
ألا إنما كانت وفاة محمد دليلاً على أن ليس الله غالب  
وأن الله هو الملحوظ في كل فعل وحركة:  
أنت حسام الملك والله ضارب وأنت لواء الدين والله عاقد  
وهذا البيت ينظر إلى قول الله مخاطباً نبيه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ  
إِذْرَمَيْتَ وَلَنِكَ بَاللهَ رَمَيْتَ﴾.  
وهو يجعل شكر الله واجباً في دوام النعمة حين قال في  
مدحه:

مقلداً فوق شكر الله ذا شطب لا تستدام بأمضى منهما النعم  
وكما أبي قبول الحكم من غير خالقه أبي الشكوى إلى  
الناس ، وهذا غاية ما يأخذ به الموحد في نفسه:  
ولا تشك إلى خلق فتشتمه شكوى الجريح إلى الغربان والرخم  
ولنذكر أن صاحب دمشق وكان يهودياً يعرف بابن ملك  
حمل المتنبي على مدحه فأبى أنفة ، وكذلك فعل مع ابن كيغلغ  
وكان رومياً.

هذا ما رأيت في شعر أبي الطيب من تعلق بالدين سلباً أو  
إيجاباً ، ذكرته في حقه بحرية وصراحة .

أما سيرته العملية فقد ذكروا له أخلاقاً يحمده عليها

الدين، وهي عفة المذهب والصدق<sup>(١)</sup>. وقد كان المتنبي - كما ذكروا - لم يؤثر عنه فسوق قط.

وقوله:

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها  
.. إلخ

صحيح كل الصحة في الدلالة على عفته، فقد أيدته سيرته طول حياته.

وكذلك في التزامه جانب الصدق:

ومن هو الصدق في نفسي وعادته رغبت عن شَعْرَ في الرأس مكذوب ثم ذكرواله خلاًلاً ثلاثة دلت على أن الرجل لم يأخذ نفسه بشيء من التكاليف الشرعية، أي لم يكن مسلماً بالعمل. قال أبو حمزة البصري: «بلغت من أبي الطيب ثلاثة خلال محمودة: هي أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط، وبلغت منه ثلاثة خلال مذمومة، وهي أنه: ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن...».

فإذا أضفت إلى ذلك ما نعرف في سيرته من البخل والتعاظم وسلطنة اللسان، وأن له في القدف فحشاً ما عرف أقبح

---

(١) كيف هذا، وهو «المتنبي»؟

منه ولا أدنس، استقام لك من كل ما قدمترأي لعله أن يكون أقرب الآراء من صواب.

وأنا لست أقول فيه ما قالوا من أنه: «خبيث الاعتقاد قد خلع ريبة الإسلام» ولا أتكلف له التأويل والمحال، فقد قدمت الإشارة إلى بطلان المذهبين معاً.

ولكني ألاحظ أنه شاعر، والشاعر كثيراً ما يبيع دينه بدنيا غيره، فإن خرج على الإسلام في غلوه فما قصد إلى هذا الخروج قصداً، وإنما أراد الزلفى عند الممدوح، فأداء الغلو إلى الخروج<sup>(١)</sup>.

وليس من الحق أن نحكم على آخرة رجل بنزوة كانت منه في الحداثة، أو حماقات صدرت في فترات من حياته. ومن ذا زعم أن أبي الطيب كان يعتقدها اعتقاداً حتى نجعله بها صاحب مذهب في الدين، وقد علمنا أن عقله لم يفرغ لهذا قط؛ فمن سره أن يجر النواوغ المشهورين إلى طائفة بالسلسل والأغلال، يكثر بهم سوادها فما أراني مضطراً إلى شيء من هذا، وقد فرغ أهل البصر من هللة هذه الطريقة التي سلكها بعض المؤلفين

(١) ولكنه - كما سبق - يؤخذ على هذا الخروج، لأنه قد صرّح به بقوله، دون إكراه من أحد.

الحديثين في كتب الترجم جهلاً وعصبية، فما هي إلى علم ولا إلى أمانة. والحكم على دين رجل أبعد منالاً من أن يكتفى فيه بورود اسم هذا الدين في كلامه، فما بالك إن كان ذكره له مجازاة أو حكاية أو ردأ أو شتيمة.

وقد ذكر المتنبي في شعره هذه الديانات: المانوية، المحسوس، اليهود، النصارى... إلخ أفيستقيم في هذا الزمان أن ينهض متسب إلى العلم فيعد أبا الطيب مانوياً أو مجوسيّاً؟  
إن العلم والأدب أمانة، فلينظر قارئ في كتاب ما ترك مؤلفه من عقله وأمانته وما أخذ.

أما أنا فأستطيع الآن بعد ما قدمت من بحث تحريرت فيه بجهدي، ودعمته بما رأيت من برهان، أن أرسل لكمي مطمئناً في دين أبي الطيب فأقول:

آمن لسانه وتختلف عمله، ولم يكن الدين همه يوماً من الأيام.

## الفهرست

٥	مقدمة
١١	لتحفة عن المتنبي .....
٦٧	محتويات ديوان المتنبي .....
١١٣	أقوال العلماء في المتنبي .....
١٢١	المتنبي ماله وما عليه .....
١٢٣	ماله .....
١٣٣	ما عليه .....
١٧٥	دين المتنبي لسعید الأفغاني .....
٢١٠	فهرست المحتويات .....